

# رحلة محمد علي باشا إلى السودان 15 أكتوبر 1838 - 14 مارس 1839م (التقرير الرسمي)

تحقيق وتقديم  
حسن أحمد إبراهيم

الطبعة الثالثة 2022م



رحلة محمد علي باشا إلى السودان - تحقيق وتقديم حسن أحمد إبراهيم

## القارئ الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثريا للنشر والتوزيع على تبنيتها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات و البحوث التوثيقية.

## القارئ الكريم:

تتمن دار آريثريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

## القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائماً - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.



دار آريثريا للنشر والتوزيع  
Arithria for Publishing and Distribution

# رحلة محمد علي باشا إلى السودان

15 أكتوبر 1838-14 مارس 1839

(التقرير الرسمي)

تحقيق وتقديم

حسن أحمد إبراهيم

أستاذ التاريخ - وعمية كلية الآداب الأسبق، جامعة الخرطوم

الكتاب : رحلة محمد علي باشا إلى السودان

تاريخ النشر : الطبعة الثالثة 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحلیم كابتود

## حقوق النشر محفوظة للدار والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الدار والمؤلف

إن دار آريثريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء المؤلفين وأفكارهم، وتعتبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

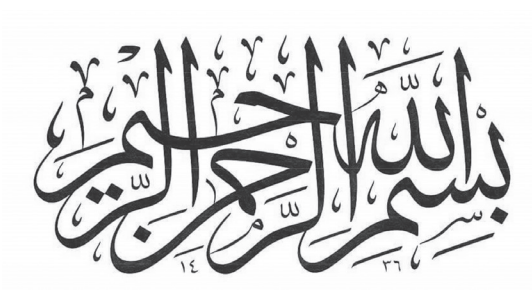


دار آريثريا للنشر والتوزيع

Arrythria for Publishing and Distribution

جوال : 00249910785855 00249121566207

arithriaforpublishing@gmail.com



﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

(آل عمران.. الآية 140)

## الفهرست

8.....	تصدير الطبعة الثالثة :
9.....	مقدمة:
32.....	تحقيق التقرير الرسمي لرحلة محمد علي:
56.....	مراجع .....
95.....	خرط .....

## الإهداء

إلى استاذي فقيد العلم والوطن  
البروفسير مكي الطيب شبيكه

الطبعة الاولى : ١٩٨٠م

الطبعة الثانية: ١٩٩١م

الطبعة الثالثة: ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة للدار والمؤلف

## تصدير الطبعة الثالثة

هذا بحث عن الرحلة التي قام بها والي مصر محمد علي باشا إلى السودان خلال الفترة 15 أكتوبر 1838م إلى 4 مارس 1839م ، وقد اعتمدت فيه اعتماداً رئيسياً على مصدر نادر هو التقرير الرسمي الذي صدر عن هذه الرحلة عند عودة الباشا إلى القاهرة مباشرة . ومصدر آخر لهذه الدراسة هو الروايات الشفوية والمعلومات الأخرى التي تحصلت عليها خلال الرحلة التي قمت بها خلال شهر أبريل 1980م من الخرطوم حتى فادوغلي وقيسان على الحدود الحبشية السودانية متتبّعاً بقدر الامكان مسار رحلة محمد علي .

أرجو أن أتقدم بالشكر وأجزله للأستاذين رتشارد هل ويوسف فضل حسن على تفضلهما بقراءة مسودة الطبعة الأولى وإبداء بعض الملاحظات المفيدة . والشكر كل الشكر لعدد كبير من أهالي منطقة فادوغلي وقيسان الذين أمدوني بمعلومات جيدة، وأخص بالشكر الشيخ محمد عوض يوسف على حسن ضيافته ومساعداته القيمة خلال بقائنا في مدينة قيسان.

والتقدير للأخ الدكتور الحاج حمد محمد خير على تكبده مشاق السفر ومساندته خلال رحلتنا الميدانية، وخالص الشكر للمرحوم الأستاذ محمد يوسف مصطفى الوثائق لما بذله من جهد في قراءة المسودة الأولى من هذا البحث وتجويد لغته.

بما أن نسخ الطبعة الأولى والثانية قد نفذت قبل فترة طويلة فقد بادر مشكوراً الأستاذ الدكتور حاتم الصديق محمد أحمد أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الزعيم الأزهري ومدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر بأن يتولى هذا المركز بالشراكة مع دار آريثيريا للنشر والتوزيع هذه الطبعة - الطبعة الثالثة- من هذا الكتيب، فله مني خالص التقدير آملاً أن تعود هذه الطبعة المنقحة بالرفع على الباحثين والطلاب .

حسن أحمد إبراهيم

مدينة الأزهري - الخرطوم

## مقدمة

### تقرير رحلة محمد علي:

لم أعتز خلال رياراتي المتعددة لدار الوثائق التاريخية والقومية والمصرية منذ أن كانت بقصر عابدين وبعد نقلها خلال عام 1968-1969 إلى القلعة في قصر من قصور محمد علي على نص التقرير الذي صدر باللغة التركية عن رحلة محمد علي للسودان، ولا عن الترجمة العربية الرسمية له. ولكنني عثرت في عام 1977 - ومحض الصدفة فقط - على الترجمة العربية الرسمية لهذا التقرير في مركز أبحاث تاريخ مصر المعاصر الذي أنشئ مؤخراً في القاهرة لجمع كل الوثائق والمصادر الرئيسية الأخرى لتاريخ مصر منذ إعلان بريطانيا المنفرد لإستقلال مصر سنة 1922. ويبدو أنه قد وضع هناك بطريق الخطأ، وهو محفوظ في إحدى العلب التي أعطيت إسم علبة السودان. وقد ذكر مترجموه أن نصه التركي يوجد في دار الوثائق المصرية في ملف المتفرقات دوسيه بدون تاريخ في المحفظة نمرة 123 عابدين. وفي الغالب أن هذه المحفظة قد أعطيت رقماً آخر عندما أعيد ترتيب وتصنيف الوثائق قبيل نقلها من عابدين إلى القلعة. وعليه فمن الصعوبة الحصول على النص التركي هناك. هذا وقد ذكر كل من المؤرخ المصري محمد فؤاد شكري والبريطاني رتشارد هل أن النص التركي لهذا التقرير قد صدر ملحقاً بعدد مجلة الوقائع المصرية الصادرة بالأسكندرية في 6 صفر 1255 ، 21 أبريل 1839.<sup>(1)</sup>

---

1- في الحقيقة أن كلاً من شكري ورتشارد هل قد زعم أن هذا التقرير قد صدر ملحقاً بالعدد رقم 618 من مجلة الوقائع المصرية. محمد فؤاد شكري ((صفحة من تاريخ السودان الحديث، رحلة محمد علي باشا إلى فازوغلي 1838-1839 ونشر جرنال الرحلة))، كلية الآداب ، العدد الثامن ، المجلد الثاني، ديسمبر 1946 ، ص 44. (وسأشير فيما بعد لهذا المقال ب: رحلة محمد علي)

Hill R: Egypt in the Sudan (London 1955) P. 66.

إلا أنه يبدو أنهما قد أخطأ في رقم هذا العدد إذ أننا نلاحظ من قائمة الأعداد الموجودة من هذه المجلة في مكتبة المتحف البريطاني بلندن أن العدد 618 صدر في وقت ما خلال الفترة من 1829 إلى 1833 وليس 1839 كما زعم هذان المؤرخان. فلقد جاء في تلك القائمة أن الأعداد الموجودة من هذه المجلة في تلك المكتبة هي الأعداد من 270 إلى 387، ومن 389 إلى 522 والعددان 625 و626. وكلها خاصة بالفترة من 1829 إلى 1833. وهي مطبوعة باللغتين التركية والعربية معاً. ويوجد في مكتبة المتحف البريطاني أيضاً عدد واحد فقط - هو العدد 652 الصادر 1876 - من سلسلة جديدة من هذه المجلة بدأ إصدارها الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى. وأن صدق حسي فقد سمعت من الدكتور أحمد خلال إحدى الندوات العلمية التي عقدت بالقاهرة قبل عدد من سنين أنه لم يصدر غير هذا العدد من هذه السلسلة.

وأضاف هـل أن محمد علي قد أمر بإرسال خمس عشرة نسخة من هذا التقرير لكبار موظفيه بالسودان<sup>(2)</sup>. إلا أنني لم أجد هذا العدد أو أي عدد آخر من مجلة الوقائع الخاصة بالفترة من 1839-1834/1255-1250 في دار الكتب بالقاهرة. ولا يوجد هذا العدد أيضاً بمكتبة المتحف البريطاني بلندن. وقد ذكر لي الأستاذ هـل في مقابلة لي معه في الخرطوم في 10 يناير 1980 أنه قد أطلع قبل سنين عديدة على النص التركي لهذا التقرير، إلا أنه لا يذكر حينئذ مكانه. ولا أدري إن كان شكري قد أطلع عليه أم لا، وأن كنت أرجح أنه لم يفعل ذلك إذ أنه أعتمد في مقال له عن رحلة محمد علي للسودان على ترجمة فرنسية لهذا التقرير قال أنه وجدها ضمن الوثائق النمساوية بوزارة الخارجية بفيينا. وأضاف شكري أن أحد موظفي القنصلية النمساوية بالأسكندرية - فيشر هوسر Wicher Houser قد أعد هذه الترجمة<sup>(3)</sup>.

وقد ذكر شكري أن كلا من جومارد ومنجن قد نشر ترجمة موجزة بالفرنسية لهذا التقرير<sup>(4)</sup>. ، كما نشر شكري نفسه ترجمة عربية له معتمداً على الترجمة الفرنسية السالفة الذكر. وقد ألحق شكري ترجمته هذه بمقاله الذي أشرت إليه آنفاً. ولما لم تكن ترجمة شكري من النص التركي نفسه، ولأنها ناقصة مبتورة وبها عدد من الأخطاء سأشير إليها في تحقيقي للتقرير، فيجب أن نكون حذرين في الإعتماد عليها في دراسة رحلة محمد علي للسودان. ورغم الإعتماد على المادة المترجمة في الدراسات العلمية أمر غير مقبول من ناحية مبدئية، إلا أن الترجمة العربية الرسمية للتقرير التي حصلت عليها فالراجح أنها ترجمة دقيقة وشاملة. وذلك لأنها ترجمت من النص التركي نفسه وقام بذلك مترجم ومراجعون وقعوا أسماءهم في نهاية الترجمة. وهم من المترجمين المتخصصين الأكفاء الذين أستخدمهم ملك مصر السابق فؤاد الأول

2- (Hill;OpCit,P.66

3- - راجع مقال شكري: رحلة محمد علي، ص 58-27.

4- ذكر شكري أن المرجعين اللذين نشرت فيهما هاتين الترجمتين الموجزتين هما:

Jomard,Mr: Etudes Geographiques et Historiques sur l'Arabic Suivies de la -Relation du Voyage de Mohamed Aly dans le Fazogul (Paris,1839), PP.251 Mengin, F. : Histoire Sommaire. Append. IV sur la voyage de Mohamed Aly dans le Fazoglo- Extroit du courier de l'Egypte No.618. Supplement en .date du 6 mois le sufer de l'Anne 1255 de l'hegire (21 Avrill 839), Paris 1839 شكري : رحلة محمد علي ، ص 58.

(1918-1936) لترجمة الوثائق التركية إلى العربية . وقد أكد ذلك في مناسبات عديدة عدد من قدامى موظفي دار الوثائق المصرية الذين عاصروا حركة الترجمة هذه. ثم أن الرحلة الميدانية التي قمت بها خلال شهر أبريل 1980 من الخرطوم حتى فازوغلي وقيسان على الحدود الحبشية - السودانية متتبعاً بقدر الإمكان مسار رحلة محمد علي تشير إلى صحة هذه الترجمة. فقد سافرت من الخرطوم ماراً بمدني وسنار وسنجة حتى مدينة الدمازين . ومن هناك سلكت الطريق البري الغربي للنيل الأزرق حتى وصلت إلى قيسان. وعند عودتي للدمازين سافرت إلى الرصيصر متتبعا هذه المرة الطريق البري الشرقي للنيل الأزرق حتى جبل فامكة الحالي. وهو أحد سلسلة جبال فازوغلي . وتقابلته من الناحية الغربية للنيل الأزرق قرية صغيرة تسمى فازوغلي. ويمكن عبور النيل الأزرق بالمراكب من هناك إلى قرية فازوغلي في فترة وجيزة لا تتعدى العشرين دقيقة . وكما سأوضح في أماكن متفرقة من تحقيقي لهذا التقرير، فإن الغالبية العظمى من المدن والقرى والجبال والحيوانات والطيور التي وردت في هذا التقرير لا تزال موجودة حتى الآن. ومعظمها أشير إليه في هذا التقرير بطريقة صحيحة وإن حرفت القلة الباقية منها تحريفاً بسيطاً لعل مصدره النص التركي نفسه. ومن خلال حديثي مع عدد من سكان المناطق بين ضفتي النيل الأزرق من الرصيصر حتى قيسان لاحظت أنهم ما زالوا يحتفظون ببعض العادات والتقاليد التي وردت في هذا التقرير . ثم أن المعلومات التي وردت فيه عن خصوبة أراضي تلك المناطق وسبل كسب أهلها لعيشهم - خاصة إعتمادهم على التنقيب عن الذهب بطرق بدائية - صحيحة حتى يومنا هذا.

ولكل هذا فإن الترجمة العربية الرسمية لتقرير رحلة محمد علي تعتبر مصدراً هاماً لدراسة هذه الرحلة خاصة وعهد محمد علي في السودان عامة . ولكن هذا لا يقلل من أهمية النص التركي إن أكتشف.

### **نبذة عن التقرير:**

يحمل هذا التقرير العنوان التالي : ((رحلة ساكن الجنان مولانا الكبير محمد علي إلى السودان. مترجمة عن وثيقة تركية محفوظة في ملف المتفرقات (دوسيه بدون تاريخ من المحفظة نمرة 123 عابدين - رجب - شوال 1254) . ويقع هذا التقرير في حوالي اثنتين وعشرين صفحة فلو سكاب مسطر لكل واحدة منها ثلاثون سطراً تقريباً. وهو

مخطوط بخط واضح غير أنه غير مرقم. وقد وضعت علامات الترقيم عليه تسهياً لقراءته. ويغلب على أسلوب التقرير أنه إنشائي مصطنع فخم اللفظ، كما أنه ذو رنة عصرية مخادعة. هذا وأنني لم أغير أسلوب هذا التقرير بل تركت النص على ما كان عليه دون تغيير في النحو أيضاً. والملاحظ أيضاً أن هذا التقرير قد بين التاريخ الذي غادر فيه الباشا القاهرة في طريقه للسودان. وهو 26 رجب 1254 / 15 أكتوبر 1838. وذكر التقرير أيضاً أن الباشا قد وصل في طريق عودته من السودان إلى كرسكو في 20 ذي الحجة 1254 / 6 مارس 1839، إلا أنه لم يحدد اليوم الذي وصل فيه القاهرة. وبما أن التقرير قد أشار إلى أن الرحلة من وإلى القاهرة قد استغرقت خمسة أشهر وأربعة أيام فإنني أميل إلى قبول رأي هـ أن الباشا قد وصل إلى القاهرة 14 مارس 1839<sup>(5)</sup>.

## مسار الرحلة:

حدثنا التقرير أن محمد علي قد سلك طريقين في سفره وعودته. فهو قد أبحر من القاهرة جنوباً ماراً بعدد من القرى والمدن في صعيد مصر كالمنيا وأسوان وكرسكو. وقد استغل محمد علي هذه الفرصة لتفقد وإصلاح إدارته في صعيد مصر. فقد سار ركبته ((بالقرب من شاطئ النيل لتيسير مشاهدة القرى وزراعتها))، كما أنه أصدر لمؤسسه هناك عدداً من ((التنبيهات)) المتعلقة بشئون تلك الأقاليم. وعند دخوله الحدود السودانية مر ركب الباشا بوادي حلفا وعبكه إلى أن وصل إلى أم ببول بالقرب من دنقلا العجوز.

ويبدو أن هذه الرحلة قد كانت شاقة وخطرة بسبب ((الوحد)) والصخور التي واجهتها المراكب خاصة في مناطق الشلالات المنتشرة في تلك المنطقة. غير أن التقرير يبالي جداً في تصوير وشجاعة وثبات الباشا أمام تلك المصاعب. فبينما أنهم هذا التقرير مرافقي محمد علي بالجزع وفتور العزائم حتى أنهم أخذوا ((يصرخون ويولولون)) سعياً للخروج من المراكب عندما كادت أن تغرق عند شلال فاجييار، زعم التقرير أن الباشا ظل ثابتاً ورفضاً لرجاء مرافقيه بمغادرة المركب قائلاً لهم بتحدي: ((دعوني لتجاري)).

5- (Hill: opcit, P.68.

ونسبة لطول الرحلة النهرية من أم بكون إلى الخرطوم نظراً لإعوجاج النيل سلك ركب محمد علي الطريق البري عبر صحراء بيوضة إلى أن وصل إلى الخرطوم في رحلة أستغرقت ستة أيام ونصف . أما المراكب التي صحبت البعثة فقد واصلت رحلتها من أم بكون عبر النيل إلى الخرطوم في فترة إستغرقت ثلاثين يوماً . وعند وصول المراكب أبحر الركب من الخرطوم نحو الرصيصر ماراً بمدني وسنار . وبعد قضاء خمسة عشر يوماً في الروصيصر ، واصل رحلته عبر النيل حتى فازوغلي .

أما في طريق العودة فقد أبحر الركب من فازوغلي حتى الخرطوم . وبعد قضاء ثلاثة ايام هناك واصلت البعثة مسيرتها عبر النيل حتى أبي حمد . ونظراً لإنخفاض ماء النيل آنذاك تعرضت المراكب لأخطار داهمة خاصة في مناطق الشلالات . وكاد أن يغرق المركب الذي حمل قنصل اليونان في مصر الذي صحب محمد علي في هذه الرحلة . وبعد قضاء أربعة أيام في أبي حمد لإنتظار الدواب التي أرسلت برأ ، إخترق ركب الباشا صحراء العتمور إلى كرسكو . وقد إستغرقت هذه الرحلة الصحراوية الشاقة أسبوعاً كاملاً قطعت خلاله تلك ((الفيافي الرملية اللانهاية لها)) . ومن كرسكو سلكت البعثة طريق النيل حتى القاهرة .

وهكذا فقد سلك محمد علي خلال هذه الرحلة طرقاً مختلفة مما مكنه من زيارة جهات متعددة متفرقة في السودان .

## أهداف الرحلة:

زعم المؤرخ المصري محمد فؤاد شكري أن السودان كان في ((حالة خلو)) عندما زحف الجيش المصري عليه إذ لم توجد فيه آنذاك دولة تستمتع بكل أسباب السيادة في أرجائه . ولذلك عندما قضى محمد علي على ((فلول الهمج)) في سنار وأقام دولة ((مرهوبة الجانب)) في السودان ، أصبح له الحق في أن يستمتع بكل حقوق السيادة عليه<sup>(6)</sup> .

واستطرد شكري زاعماً أن محمد علي قد هدف برحلته إلى السودان ((إذاعة نظرية الخلو والإستناد عليها في صون وحدة وادي النيل أي بقاء شطريه مصر والسودان في نظام سياسي موحد))<sup>(7)</sup> .

6- محمد فؤاد شكري: مصر والسيادة على السودان (القاهرة 1946) م ص 39-38 .

7- محمد فؤاد شكري: مصر والسودان، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر، 1820-1899، القاهرة 1958، ص 13 .

غير أن السودان لم يكن في ((حالة خلو)) كما زعم شكري . إذ أن سلطان سنار ظل الحاكم الرسمي المتمتع بالسيادة القانونية الكاملة عليه. ثم أن محمد علي نفسه كان تابعاً للسلطان العثماني الذي تم غزو السودان بإسمه. وبهذا فقد أصبح السودان بعد الغزو التركي - المصري تحت سيادة الإمبراطور العثماني لا سيادة ولى مصر . ويجب أن نذكر هنا أنه عقب سقوط سلطنة الفونج تنازل سلطانها آنذاك - السلطان بادي السادس بن طبل - عن سيادته على مملكته لخليفة المسلمين الإمبراطور العثماني . إذ أن ليس لمصر أي حق قانوني في السيادة على السودان . ولذلك عندما تنازل - أو أُجبر على التنازل- الإمبراطور العثماني عقب الحرب العالمية الأولى عن سيادته على البلاد التي كانت خاضعة له لشعوبها كان طبيعياً أن تؤول السيادة على السودان لشعبه.

ودراسة هذا التقرير توضح أن الهدف الرئيسي لهذه الرحلة كان متمشياً مع إستراتيجية محمد علي الرامية لإستغلال موارد السودان . ونلاحظ ذلك من تركيز التقرير وإهتمامه البالغ في مواضع متعددة بالتنقيب عن الذهب والحديد، وتطوير زراعة المحاصيل السودانية لتصديرها لمصر .

على أن التنقيب عن الذهب في جهات فازوغلي كان أهم أهداف هذه الرحلة جميعاً الأمر الذي يتضح من بداية هذا التقرير إذ جاء فيه: ((ويتضح من هذا أن معدن الذهب موجود بالفعل في هذه البلاد . ولهذا اعتزم جنابنا العالي زيارة السودان لما في هذه السياحة من مبررات حسنة . وقرر الوصول إلى معرفة حقيقة هذا التبر)). . ولما كان الباشا يعقد آمالاً عريضة على الحصول على الذهب هناك بكميات وفيرة فقد كبد نفسه - وهو آنذاك شيخ مسن في الواحد والسبعين من عمره - مشاقاً ومصاعب جمّة خلال تلك الرحلة الطويلة . ففي جهات فازوغلي وحدها قضى الباشا واحداً وعشرين يوماً إذ أنه وصلها في 28 شوال 1254/14 يناير 1839 ، وغادرها في 19 ذي القعدة/3 فبراير . وفي تلك المنطقة بذل الباشا مجهودات جمّة للتنقيب عن الذهب . فقد سار من فازوغلي حتى خور الذهب الواقع في مواجهة قرية كشنكرو . وأقام هناك ((المباني اللازمة لأشغال المعدن)). . ولما كانت لمهمة الذهب ((أهميتها وخطرها وتعد من الأمور الجسيمة)) ، فقد أمر الباشا بأن يكون العمل فيها ((بالآلات الميكانيكية وفقاً لتقارير المهندسين وما أدلوا به)) وقد ترك هناك عشرين مهندساً تقاضوا ((مرتبات كبيرة)) ، كما منح كلاً منهم ((مائة فدان أبعادية من الأرض)). . ولمساعدة هؤلاء ((في أشغال المعدن)) ، حث الباشا شيوخ جبل

فازوغي على إحضار 1500 أسرة وإسكانهم ((في مدينة محمد علي، ووعدهم بمكافأتهم بصرف كسوة لكل منهم سنوياً علاوة على المقدار المقرر من الذرة)) (تسعة أرباع سنوياً).

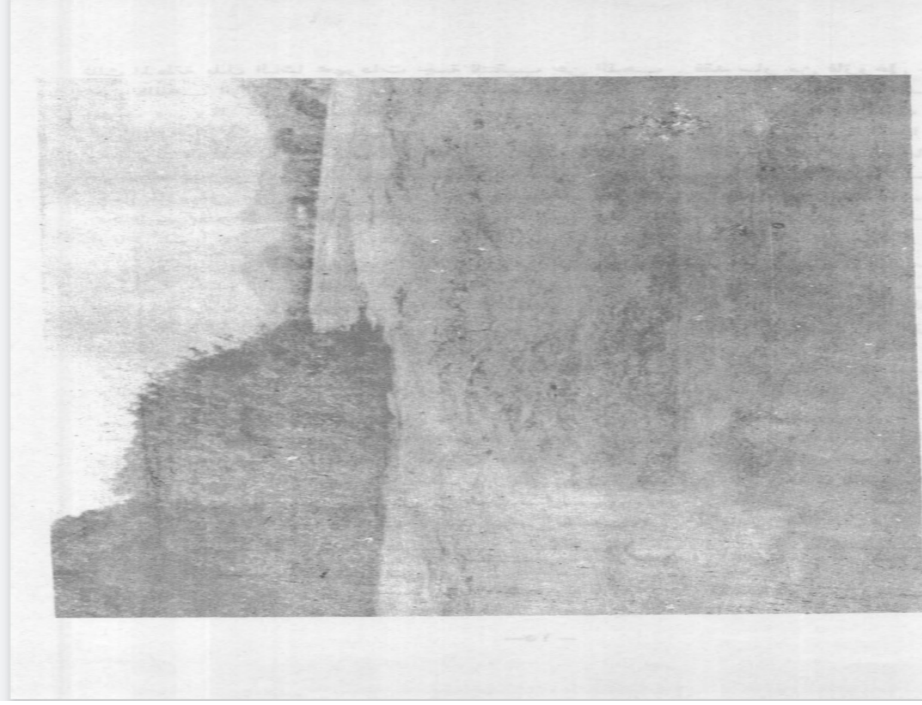
ويجدر بي أن أذكر هنا أن كثيرين من أهالي جهات فازوغي وقيسان والكرمك ما زالوا يعتقدون حتى يومنا هذا في توفر الذهب في مناطقهم . بل أن عدداً منهم قد عمل وآخرون ما زالوا يعملون - خاصة في فصل الخريف - في التنقيب عن الذهب هناك بطرق بدائية تشابه تلك التي أتبع في عهد محمد علي . وهي أن يحفروا المناطق التي يشتبه ((خبراًؤهم)) وجود الذهب فيها . ثم يضعون التراب الذي يخرجونه من هذه الحفر في أقداح يصبون عليها الماء . وعند الغرلة يخرج التراب ويبقى للمحوظين منهم ((التبري)) الذي يبيعه للتجار . ويقوم هؤلاء بدورهم ببيعه للصاغة لسبكه . وعند رحلتي الميدانية إلى تلك المناطق رأيت نموذجاً لعملية التنقيب هذه في بعض الخيران حول قيسان . وعلمت أنها مستمرة في مناطق أخرى كجبال أمورا وجبل السعودية<sup>(8)</sup> .

وقد ذكر لي خلال رحلتي الميدانية عدد من أهالي تلك المناطق أنهم مارسوا هذه العملية بأنفسهم: مثلاً موسى أحمد خير من أهالي قرية ود الماحي وسبت الشيخ محمد الأمين من أهالي قرية أبو شندی . وشاهدت بنفسي عدداً من الأهالي يبيع ((التبري)) لأحد كبار تجار قيسان - الشيخ محمد عوض يوسف<sup>(9)</sup> . وأفادني هذا الشيخ أن تاجراً إغريقياً قد حاول سنة 1951 - بالتعاون مع تاجر هندي من مديني - التنقيب عن الذهب في أبغرو بين الكرمك وأوري . فحفر هناك حفرة كبيرة صرف عليها أكثر من خمسة آلاف جنيه . إلا أن عائده من الذهب كان خمسة وقيات فقط . وأضاف الشيخ محمد أن تاجراً من الكرمك - سليمان كروم وأخوانه - قد تقدموا انزاک بطلب رسمي للحكومة للسماح لهم بالتنقيب عن الذهب في تلك المنطقة<sup>(10)</sup> .

8- أطلق فريق من الجيولوجيين السودانيين إسم ((السعودية)) على هذا الجبل الكائن بالقرب من قيسان تنويهاً منهم بإعتقادهم بوجود الذهب هناك .

9- وقد الشيخ محمد عوض إلى الحبشة للعمل بالتجارة هناك في سنة 1944م . وبعد قضاء ست سنوات في الحبشة إستقر في قيسان التي لا يزال بها حتى صدور الطبعة الأولى من هذا الكتيب عام 1980م . ويبلغ من العمر آنذاك ستين عاماً .

10- هذا وكانت الحكومة الثنائية قد سمحت لشركة تطوير السودان بالتنقيب عن الذهب في منطقة فازوغي - قيسان خلال الفترة من 1900 إلى 1911 . وقد أصدرت هذه الشركة تقريراً عن نتائج أعمالها . لنصه أرجع إلى: Dunn, Stanley: "Notes on the Mineral Deposits of the Anglo-Egyptian Sudan. The Anglo-Egyptian (Sudan Geological Survey Bulletin, I, 1911, PP. 52. 55. (Hereafter Dunn: Notes



صورة مقرن خور الذهب مع خور تمت ويرى في الخلف جبل كشنكرو

ويذكر التقرير أن الباشا قد أبدى أيضاً بعض الإهتمام بالتنقيب عن الحديد في كردفان، إذ أنه أرسل من الخرطوم في طريق عودته لمصر مهندساً فرنسياً - المسيو لامبرت - إلى ذلك الإقليم ((ليقرر إن كان من الممكن شق ترعة من النيل إلى كردفان توطئة لتشغيل وإدارة معدن الحديد على الوجه المطلوب)).

بيد أن توقيت هذه الرحلة كان مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بتطور الصراع بين محمد علي والإمبراطور العثماني . فقد إقتنع الباشا أن تحقيق هدفه بإنهاء تبعيته للإمبراطور العثماني وإقامته حكماً مستقلاً في مصر لن يتم إلا بتحديه والدخول معه في مواجهة عسكرية . وبالفعل دخل الجانبان في حربين تعرفان بإسمي الحرب السورية الأولى 1830 - 1833 والحرب السورية الثانية 1838. ولما إتضح للباشا آنذاك أن الدول الأوروبية تعارض خطته الرامية إلى الإستقلال عن الإمبراطورية العثمانية ، رأى أن لا سبيل لتحقيق

هذا الهدف إلا بأحد طريقتين: أما بإغراء السلطان ورجاله بالهدايا والرشوة ، أو الإستمرار في حروبه ضده لتحقيق ذلك الاستقلال بالقوة عن الإمبراطورية العثمانية . وفي كلا الحالتين كان الباشا محتاجاً للمال الوفير. ومن هنا جاء تفكيره لزيارة جهات فازوغلي حيث ظن أنه سيجد الذهب هناك بكميات وافرة. وقد شهد بذلك بعض قناصل الدول الأوروبية في مصر، فجاء مثلاً في رسالة للقنصل الروسي الكونت ميدوم بتاريخ 6 أغسطس 1838 أن محمد علي قد قال له: ((إذا ما رجعت من فازوغلي بمركب محمل بالذهب فسوف أقضي كل منازعاتي وفق رغائبي دون معونة أحد لأنه إذا وجد المال لا يعدم الإنسان الأصدقاء والجيوش التي تسهل الإتفاق <sup>(11)</sup>)).

ويعكس هذا التقرير إهتمام محمد علي - خاصة في طريق عودته لمصر بعد أن فشل في الحصول على الذهب من جهات فازوغلي - بتطوير الزراعة وتسهيل ترحيل المحصولات السودانية إلى مصر . فلما كانت ((أراضي السودان أخصب وأوفر محصولاً وأكثر سكاناً وودياناً وأشجاراً))، فقد أعتقد الباشا أنه لو بذلت جهوداً في عمرانها ((فلا شك أن قارة إفريقيا بعد مائة سنة تضارع أمريكا <sup>(12)</sup> بل تكون ثانيها)). ولذلك فقد حث الباشا طوال رحلته مرءوسيه في السودان على تشجيع ((الشعب على تذوق منافع الزراعة وحثق أصولها حتى يقبلوا على زراعة النيل والقطن وقصب السكر)). ووجه بأعفائهم من الضرائب لعدد من السنوات يحددها المسؤولون في القاهرة وبعدها يؤخذ منهم العشر فقط . وقد وجه الباشا بصفة خاصة الحكمدار أحمد باشا أبوودان على بذل قصارى جهده في ((تطبيب قلوب الزراع وحمايتهم على وجه أتم)). ووعدهم بالترقية إذا فعل ذلك بأن خاطبه قائلاً: ((يا بني أربي همتك وإن ظهرت لي أنك قادر على تنفيذ وصاياي المبسوطة بإذن الله فلا شك أن عائلتك ستكون في المرتبة الأولى بين العائلات المصرية)). بل وأن الباشا أبدى إستعداده لزيارة السودان مرة أخرى في العام القادم ((لشد أزرك (أبوودان) ومعاونتك في تشجيع الرعية وحضهم)). وقد حرص الباشا أيضاً طوال رحلته على مقابلة مشايخ البلاد ليشرح لهم ((فضائل الزراعة وتفضيل شئون التجارة)). وقد أثمر هذا التشجيع إذ لاحظ محمد علي في طريق عودته من

---

11- محمد فؤاد شكري وعبدالمقصود وسيد محمد خليل: بناء دولة محمد علي (القاهرة 1948) ، ص 754. أورد شكري في هذا المصدر رسالة أخرى في هذا المعنى للقنصل الفرنسي . لنصها أنظر : رحلة محمد علي ص 36-37.

12- يقصد أمريكا.

فازوغلي على ((ميل الأهالي إلى الزراعة والفلاحة)). وكان الضابط فيسان - من أوائل الضباط الذين التحقوا بخدمة محمد علي والذي عمل آنذاك بالتجارة في الخرطوم - من أبرز من استجابوا لنداء تطوير الزراعة . فهو قد تعهد للبasha عند مروره على الخرطوم في طريقه إلى فازوغلي ((بإنشاء عشرة من السواقي)). وعند عودته إليها عرض في قيسان ((على المسامع الخديوية أنه جهز أماكنها وأنشأ اثنين منها)). ولتسهيل ترحيل واردات السودان إلى مصر ، وتحقيق رغبة محمد علي في اكتشاف منابع النيل ((ليكون عمله تذكراً وهدية للأخلاف<sup>(13)</sup>))، إهتم التقرير بتطوير الملاحظة النهرية بين البلدين . وتحدث بصفة خاصة عن عزم الباشا على ((قلع الشلالات وإزالتها بنية توفير الأمان من المهالك والآلام للسياح وهواة السياحة)). ولما كان إخراج هذه الفكرة من حيز الفكر إلى حيز الفعل محتاج إلى مدة مديدة. أمر الباشا بالبدا في تكسير الحجارة في شلال أسوان لفتح طريق للملاحة هناك ((بالقدر الذي يسمح بمرور الذهبيات والسفن الأخرى)) التي أقلت محمد علي وحاشيته في رحلتهم للسودان. ويبدو أن الكشف عن منابع النيل الأبيض قد كان هدفاً هاماً للرحلة إذ يحدثنا التقرير في مواضع مختلفة عن الإستعدادات التي أمر الباشا بإعدادها خلال بقاءه في السودان لتسهيل مهمة البعثة التي عزم على إرسالها لإكتشاف منابع النيل الأبيض . فهو قد ((أمر بإعداد الآلات والأيدي لكسر الشلالات من المحروسة والمديريات، ((كما أنه أوفد لهذه الغاية ستين جندياً من البحرية وثلاثة قباطن من الملمين بفن الرسم ، وزاد عليهم كاتباً قديراً للتقارير وخصص لركبهم ثلاثة من أفرخ الذهبيات)). وفي نهاية التقرير نعرف أن محمد علي قد عين سليمان كاشف ((باشيوغاً)) - ضابطاً عظيماً - للإشراف على القوات العسكرية التي خصصت لمصاحبة البعثة التي تقرر إرسالها للكشف عن منابع النيل الأبيض . ولما كان من المتوقع أن تواجه هذه البعثة مقاومة من الأهالي، فقد وجه الباشا بتدعيم قوتها العسكرية ((بضم ذهبيتين على الذهبيات المخصصة وإركاب 500 جندي فيها بعد موسم الفيضان للمعاونة في إكتشاف

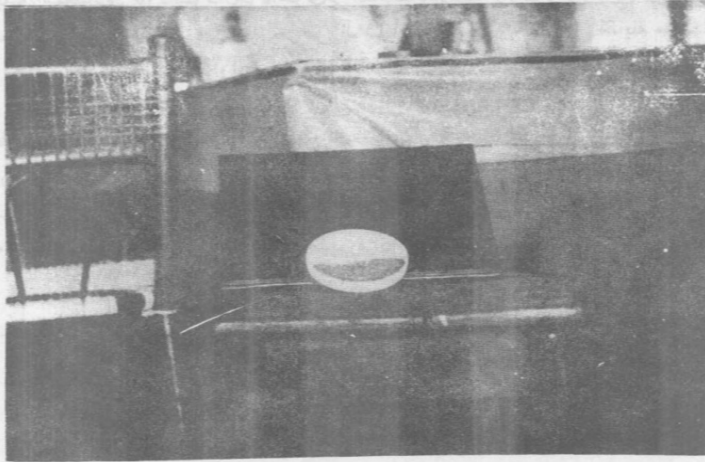
13- يبدو أن الكشف عن منابع النيل لم يكن هدفاً علمياً في حد ذاته، بل كان وسيلة للحصول على المعادن التي أعتقد محمد علي وجودها هناك . فهو قد ظن أن تزايد إهتمام قناصل الدول الأوروبية بمرابع النيل يعود - كما قال في رسالة إلى الحكمدار خورشيد - إلى أنها ((لا بد أن تكون في نفس خط العرض الذي تقع فيه أمريكا. وبما أن المعادن قد وجدت بكثرة في أمريكا فلا بد من وجودها في منابع النيل)). Hill : Opct, P.32. نقلاً عن : LB

Abdin, No. 137,29 July 1836

المنطقة إكتشافاً جيداً والإستعانة بهم في تقوية أسباب المحافظة إذ لا يبعد أن يعترض طريقهم بعض الأشرار. وشرح للبعثة ماموريتها، وأن تسير في هذه الأيام على أن يكون بدء السير إلى أقصى ما يمكن السير عليه عقب هطول الأمطار)). ولم يرد في هذا التقرير إسم قائد هذه البعثة، إلا أن مصادر أخرى (14) قد أوردت أن محمد علي قد أصدر في 9 رمضان 1255/6 نوفمبر 1839 وعقب عودته من السودان إلى مصر أمراً عالياً كلف بمقتضاه البكباشي المصري سليم قبودان بهذه المهمة . هذا وقد قام سليم قبودان خلال الفترة 1839 - 1842 بثلاث رحلات فشلت كلها في الكشف عن منابع النيل الأبيض . إلا أنها بددت الكثير من الآراء الخاطئة عنها.

---

14- راجع نسيم مقار : البكباشي المصري سليما قبطان والكشف عن منابع النيل الأبيض (القاهرة 1960) و Hill  
.: Opcit, PP. 68- 70



نماذج من الحفر التي يجمع منها الأهالي التبر (صورتان)

نماذج من الحفر التي يجمع منها الأهالي التبر (صورتان)



الأهالي يبيعون التبرى في سوق مدينة قيسان ( صورتان )

الأهالي يبيعون التبرى في سوق مدينة قيسان (صورتان)

وفي مجال تطوير المواصلات يحدثنا التقرير عن رغبة الباشا في أن ينشئ (في القريب العاجل) خطاً حديدياً من أسوان عبر صحراء العتمور إلى أبي حمد . وذلك ليتمكن تجار تلك المنطقة من توريد محصولاتهم إلى مصر دون تعب ومشقة لهم ولدوابهم.

## **العلاقات بين مصر وكل من دارفور والحبشة في عهد محمد علي :**

يلقي هذا التقرير أضواء على العلاقات بين مصر وكل من دارفور والحبشة في عهد محمد علي . فهو المصدر الوحيد - حسب علمي - الذي يحدثنا عن وفد مصري مكون من عشرين شخصاً برئاسة أحمد بك الجداوي - ((من قدماء الكبراء المصريين)) - أرسله محمد علي 1241/1825 مع كثير من الهدايا القيمة لتأمين وتوسيع الطرق التجارية مع دارفور. وقد كان نصف أعضاء هذا الوفد من أتباع الجداوي والنصف الآخر من أتباع محمد علي. غير أن سلطان دارفور محمد الفضل (1254-1215- /1787-1839) ((قابل الإحسان بالإساءة)) ورفض هذا العرض لتحسين العلاقات مع مصر . بل أعتقل الجداوي وكل أتباعه. وقد زعم التقرير أن محمد الفضل قتل ثمانية عشر منهم وسجن الجداوي نفسه. وظل الجداوي أسيراً لفترة لا نستطيع تحديدها ، ولكن الأستاذ هـل قد أشار إلى أن محمد علي قد سعى لإطلاق سراحه عن طريق بعض تجار أسيوط الذين إشتغلوا بتجارة الرقيق مع دارفور(15). ويبدو أن ((حادثة دارفور)) هذه قد أثارت غضب الباشا وقوت من عزمه على غزو دارفور، وكانت إحدى الخطوات التي إتخذها في هذا السبيل هي أن قرب إليه كل أفراد اسرة محمد الفضل الذين نافسوه في الحكم وفروا إلى كردفان خوفاً من بطشه (16). ويحدثنا التقرير عن إثنين من هؤلاء : تيمة ومحمد أبو مدين، عم وأخ السلطان محمد الفضل على التوالي . ففي خلال بقاء الباشا في الروصيرص في طريقه إلى فازوغلي في شوال سنة 1254 / ديسمبر - يناير 1839 جاءه ((قاضي كردفان ومفتيها تيمة)) فأنعم عليهم ((بالخلع الخاصة فلبسوها في حضرته البهية وأعلى قدرهم بهذا الإنعام السامي)). ويورد التقرير تفاصيل أكثر

Ibid P. 30 -15

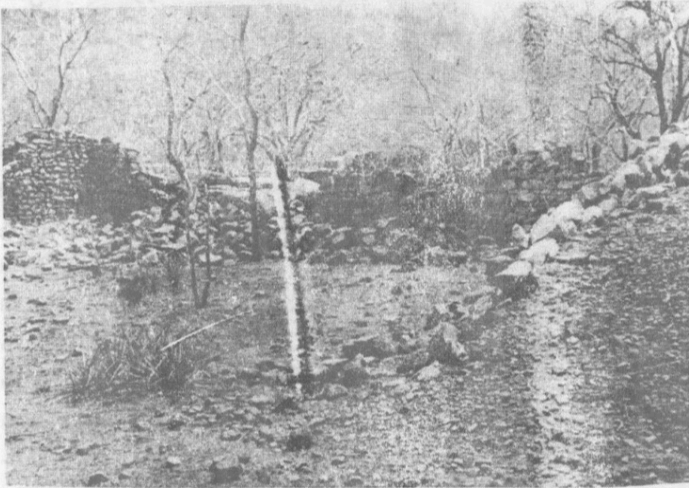
16- أرسل محمد علي في سنة 1830 خطاباً إلى محمد الفضل دعاه فيه للتسليم. لأنه رد عليه بخطاب رفض فيه ذلك رفضاً باتاً . وقال فيه : (أما علمت أن دارفور محروسة محمية بسيوف قطع هندية وخيول جرد أدهميه وعليها كهولة وشبان يسرعون إلى الهيجاء بكرة وعشبة. أما علمت أن عندنا العباد والزهاد والأقطاب والأولياء الصالحين من ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا. وهم بيننا يدفعو شر ناركم فتصير رماداً)

عن محمد أبو مدين ((أصغر أخوة)) محمد الفضل الذي هرب في 1252/1836 ((من ظلم أخيه وجوره وأعتصم بحكومة ولي النعم)). وعندما وصل محمد علي إلى جبل الرويان شمالي الخرطوم في 5 رمضان 1254/22 نوفمبر 1838 جاءه هناك من كردفان أبو مدين الذي وصفه التقرير بأنه ((شاب قد حصل على قدر من القراءة والكتابة وأن لديه الإستعداد للتشرف بشرف المدنية بسبب صغر سنه)). وقد صحب أبو مدين ركب الباشا إلى الخرطوم حيث زعم أن أخاه ((رجل مغرور واقع تحت تأثير الوهم . وفي سبيل إستقرار ملكه يتعد مراحل كثيرة عن الحق والعدالة)) ، ورداً على رجاء أبو مدين للأخذ بثأره من أخيه قال له الباشا : ((إن رغبتى متجهة إلى إجلاسك مكان أخيك)). ثم أنعم عليه بطاقيه ((مزركشة باسلاك الذهب وسيف مذهب)). وبعد ذلك عاد أبو مدين إلى كردفان ((ليقيم فيها ناعم البال بفضل المرتب المقرر له)). ونعلم من هذا التقرير أيضاً أن إمبراطور الحبشة سعى قبيل بدء رحلة محمد علي للسودان لتحسين علاقات بلاده مع السلطات التركية - المصرية في السودان بأن أرسل هدية للحكمदार أحمد باشا ابوودان . وقد إستجاب الأخير لهذه المبادرة بأن حمل أحد الأمناء خطاباً وهدية ((نفيسة تليق بشرف مصر)) إلى إمبراطور الحبشة . وقد بارك ((الجناب العالي)) هذا الإتجاه ودعمه بأن أعد قبل مغادرته القاهرة ((هدايا نفيسة)) لإرسالها عند وصوله فازوغي لإمبراطور الحبشة مع معاون رستم بك من أقدم مرافقي الباشا من الموظفين المصريين . غير أن المشائخ ((الذين تشرفوا بشرف لثم العتبات الكريمة في الخرطوم)) أقنعوا الباشا بأن يؤجل إرسال تلك الهدايا إلى أن يعود رسول أبوودان سالمًا من الحبشة، ((ويزول ما كان عالقاً بين الطرفين من الكدر)). وقد برر أحدهم - الضابط فسيان السالف ذكره - هذه النصيحة بقوله: ((مولاي إن الأحباش قوم كالحمير وهم لذلك إذا ما عوملوا على هذا الوجه يخشى أن تقع حادثة مثل حادثة دارفور لأنهم محرومون من الإعتبارات والمدنية)). وعندما علم الباشا بعد فترة وجيزة أن الرسول الذي أرسل للحبشة قد عاد سالمًا إلى القلابات في طريق عودته للخرطوم ، وجه أبوودان لإرسال ((الهدية الخديوية المجهزة)) إلى إمبراطور الحبشة مع أحد الضباط على أن يعمل ليأخذ من الإمبراطور ((التعهدات الكفيلة بتأمين الطرق التجارية)) بين البلدين.



البقايا السطحية لمدينة محمد علي ( صورتان )

البقايا السطحية لمدينة محمد علي (صورتان)



البقايا السطحية لمدينة محمد علي (صورتان)

البقايا السطحية لمدينة محمد علي (صورتان)

## بعض الهدن السودانية في التقرير :

يشير التقرير إشارات عابرة لكثير من قرى ومدن السودان ، إلا أنه يمدنا ببعض المعلومات عن مدينتي الخرطوم ومدني وعن مدينة جديدة أنشأه الباشا في جهات فازوغلي وسماها محمد علي . فقد كانت الخرطوم قبل عهد الحكمدار خورشيد باشا (1826-1838) ((عبارة عن عدد قليل من المساكن البسيطة المصنوعة من القش والحطب على شكل خيمة)). غير أن خورشيد أحبها ((لإعتدال هوائها فبنى فيها قصرًا ومسجدًا وأنشأ فيها بساتين وطرح فيها الحدائق وشجع الآخرين إليها في سبيل عمرانها)). وبفضل ذلك تطورت هذه المدينة حتى أصبح عدد المنازل فيها في عام 1838 أربعمئة إلى خمسمئة منزل. واصبحت في فترة وجيزة مركزاً تجارياً هاماً تجمع فيه ((كثير من ملل الأفرنج والروم والقبط)). ويبدو أن هؤلاء قد شكلوا عدداً لا بأس به إذ أنهم طلبوا من محمد علي خلال زيارته للمدينة في طريق عودته من فازوغلي(17) أن يسمح لهم ببناء كنيسة يتعبدون فيها مجتمعين رغم إختلاف مذاهبهم. ووافق الباشا على ذلك ((بقصد إعمار المدينة)). إلا أنه يبدو أن هذا المشروع لم يتم إذ أننا نعرف أن أول كنيسة أقيمت في السودان خلال العهد التركي - المصري كانت في سنة 1846(18). أما مدينة مدني فقد بلغ عدد منازلها عند مرور ركب محمد علي عليها في طريقه إلى فازوغلي ((نحو مائتي أو ثلاثمئة من المنازل وثكنة كبيرة تستوعب الأيا من الجنود ومستشفى وشونة وسوقاً عظيماً تفتتح ثلاثة أشهر في العام)). وقد أمر الباشا بإنشاء مدينة محمد علي بالقرب من فازوغلي عند وصوله إلى ذلك المكان في 17 ذو القعدة 1254/1 فبراير 1839. ولكي تكون هذه المدينة جديرة ((بحمل هذا الإسم الكريم))، ولكي تكون ((أعظم وأكبر بلاد السودان))، أمر الباشا بأحاطتها بسور وإنشاء الحدائق والبساتين فيها ، وإسكان كل من يرغب في سكنها والإقامة فيها)). وتوجد حتى يومنا هذا بقايا مدينة بناها الأتراك - المصريون في الشاطئ الشرقي للنيل الأزرق في مواجهة قرية أم درفة الحالية. وتعرف بأسم فامكة، وغالباً ما تكون بقايا مدينة محمد علي السالفة الذكر . وقد حدثني أحد أهالي أم درفة - رمضان

17- وصل ركب الباشا من فازوغلي إلى الخرطوم في 7 ذو القعدة 11/1254 فبراير 1839.

18- سعاد عبدالعزيز أحمد: التعليم غير الحكومي في شمال السودان 1898-1956 (رسالة ماجستير، الخرطوم 1979) ص 221.

محمد مقبول الذي يبلغ من العمر آنذاك ثمانية وسبعين عاماً - أن عدداً من المصريين قد أستقروا في تلك الجهات. بل أن المصري يوسف حمد أغا وعائلته ما زالوا يسكنون حتى يومنا هذا في قرية العردبية التي تقع بالقرب من أم درفة.

## السودانيون في التقرير :

لعلنا نعلم جميعاً أن طبيعة وعادات السودانين وقت كتابة هذا التقرير تختلف عما هي عليه اليوم . فقد عرف عنهم - خاصة الزنوج منهم - إصرارهم على حياتهم البسيطة في ديارهم وجبالهم ، وإقتناعهم باليسير جداً من مطالب العيش. غير أن مدوني هذا التقرير قد تناسوا هذه الحقيقة خاصة عند حديثهم عن من سموهم ((الجبليون)) (19) من ((طوائف العبيد)). فقد تحدث التقرير عنهم بإزدراء وسخرية ووصفهم ((بأنهم كالأنعام لا يفقهون شيئاً عن أحوال العالم . وهم قوم متشردون يسكنون الصحراء والبراري. وكل حياتهم عبارة عن جهل وكسل . ومشاكلهم مقرونة إلى البيع والشراء من بني نوعهم . ومن يملك منهم سريراً يسمى العنقريب . أو يستطيع أكل الحبال المأخوذة من الجلد (20). كلما جاع فهو الغني المتشرف بالشرف المفرق بين السماء والأرض)). ويعكس هذا الزعم الإعتقاد المتجني الذي شاع ذلك العصر عن بدائية وهمشية ووحشية السودانين. ولعل مدوني هذا التقرير قد قصدوا بذلك أيضاً تبرير نظرة محمد علي المتعالية والوصاية التي إفترضها لنفسه على السودانين . فبينما يزعم أن إبتلاء السودانين بالعداوة ((جعل ميولهم منحصرة في الغارة)) إدعى في موضع آخر ((أن سفك الدماء مخالف لأمر الجناح العالي في كل الوجوه)). وتظهر الوصاية التي ادعاها الباشاعلى السودان من زعم التقرير أن السودنيون قد ظلوا مستغرقين ((غياهب الجهل والكسل لأنهم لم يوفقوا إلى سيد رحيم يوجه إليهم أنظارهم ويشملهم برعايته منذ أن خلقهم الله إلى العصر الحاضر. فبقوا على الفطرة

---

19- المقصود بالجبليين الزنوج سكان البلاد الأصليين . وسموا كذلك لأنهم يسكنون في الجبال. ويسمون أنفسهم الآن (الجبلاويون). وهم ينتمون إلى عدد من القبائل مثل قبيلة فامادو وفارنجو الرقاريق. وقد تزواج فيهم السودانيون العرب الذي نزحوا إلى تلك المناطق بغرض التجارة. ونتج عن ذلك مجموعات زنجية - عربية لا تزال تسكن هذه المناطق. وقد تحدثت خلال رحلتي الميدانية مع عدد منهم ولاحظت أنهم يفضلون تعريف أنفسهم بقبائل آبائهم : جعليين ، محس ، دناقلة الخ، ولا يرضون مطلقاً أن تنسبهم إلى الفلاتة. بل وأن العلاقات بينهم وبين المجموعات الكبيرة من الفلاتة التي تسكن على ضفاف النيل الأزرق غير ودية.

20- أنظر هامش رقم 122، 44.

كما يشهد بذلك الواقفون على أحوال الناس. ولكن الله قيض لأولئك الهائمين في وادي الحرمان ولي النعم العادل الرحيم فجاءهم كالخضر من لدن الرب المجيد. وكان لمقدمه السعيد فيضاً وبركة . ونفخ روح الحياة في سكان البلاد الذين كانوا كالأموات فعادوا إلى الحياة أنفراً وأقوى مما كانوا . وأقر بذلك العلماء والمشائخ، ولمس ذلك كل فرد من أفراد الشعب)). وتظهر هذه الوصاية بصورة أوضح في خطاب وجهه الباشا لمشائخ البلاد زعم فيه: ((لا يخفى على ذوي العقول أن سكان أقسام المعمورة كانوا مثلكم في العصور التي خلت محرومون من الرفاهية . ولكن سكان كل قطعة نالوا الشرف الإنساني وحظوا بالرفاهية والنعم . فحباهم الله بالطاقة الصمدانية . كل هذا نالوه عن طريق دليل إتخذوه لهم . فهانذا دليلكم . فيسرؤا على بركة الله وأقبلوا نصائحى وتمسكوا بالسباب التي سأشرحها لكم . وإني آمل من فضل الله الخلاص لكم من أحوالكم الموجبة للملال ..... وهذه الدنيا مقسمة إلى خمس قارات وليس فيها إلا قارة إفريقيا سكانها هم الذين حرموا من لذة المأكولات والمشروبات ومن فوائد التجارة)). بل أن التقرير قد زعم أن ((سكان الممالك الإسلامية)) قد إعترفوا بقصورهم وعجزهم وتشرفوا بقبول تلك الوصاية طواعية وعن رضى إذ تأثر مشائخهم بما جاء في هذا ((الخطاب السامي)) الذي جعلهم ((يذرفون دموع الفرح من تآثرهم بهذه المجاملات)). وجاء في ردهم على خطاب الباشا:

((يا محسن من لطفك أحسنت إلينا

تالله لقد آثرك الله علينا

نحن في الحقيقة أجهل من في الأرض وأحط في درجات الطول والعرض !!!)) ولا أظنني في حاجة للقول بأنه لا يمكن أن يحط إنسان - مهما كان - من قدره بهذه الصورة . وبالتالي فالراجع أن هذا الرد المزعوم قد قوله مدونو التقرير لأولئك المشائخ.

## 6 - التقرير والغزوات لصيد العبيد :

عندما نشر الرحالة الذين زاروا السودان وغيره من البلاد الإفريقية التي إشتهرت بتجارة الرقيق في القرن التاسع عشر كتبهم في أحوال الرقيق قامت حركة قوية في أوروبا تهدف إلى إلغاء الرق وتجارة الرقيق هناك . وقد بادرت الحكومة البريطانية بالإتصال بمحمد علي في نوفمبر 1837 بأن أوفدت قنصلها كامبل والدكتور جون بورنج<sup>(21)</sup> لمقابلة

21- شكري: بناء دولة محمد علي، ص 578.

الباشا، وحثه على إلغاء هذه التجارة المشينة . وقد وعدهم بالعمل في خطوات وثيدة لإلغائها إذ أنه - حسب زعمه - لا يمكن القضاء عليها قضاءً مبرماً في مرة واحدة<sup>(22)</sup>. وقد ذكر شكري في مقاله عن رحلة محمد علي للسودان أن الباشا قد أصدر وهو بالخرطوم : الأوامر الرسمية بإبطال صيد الرقيق<sup>(23)</sup>. ويقصد بذلك الغزوات المسلحة التي درج المسئولون في السودان منذ بداية الغزو التركي - المصري على إرسالها سنوياً لأخذ الناس رقيقاً بالقوة من جبال النوبة وأوطان الشلك على ضفاف النيل الأبيض. وأضاف شكري أن الباشا قد أذاع من الخرطوم المنشورات مؤكداً ذلك<sup>(24)</sup>. غير أنه قد إسترعى إنتباهي أن تقرير الرحلة لم يتضمن مطلقاً تلك الأوامر المزعومة، بل أن ذلك لم يرد حتى في ترجمة شكري نفسه لهذا التقرير . وعليه فحتى إذا أصدر محمد علي هذه الأوامر قبل بدء رحلته ، فمن الغالب أنه لم يكن مقتنعاً بذلك بل فعله تحت ضغط الدول الأوروبية . فلو كان مصمماً على وقف تلك الغزوات لأعلن عن تلك السياسة خلال رحلته وحث مرءوسيه على تنفيذها كما فعل ذلك مراراً في شأن التنقيب عن الذهب وتطوير الزراعة. بل أن التقرير يذكر أن الحكمدار أحمد أبو ودان (1834-1838) قد قام خلال تواجد محمد علي نفسه في السودان بإرسال غزوتين : الأولى إلى جبل رقاريق في جهات فازوغلي حيث أسر نحو خمسمائة من الرجال والنساء والأطفال ، والثانية إلى ((سكان الجبال في جهة كردفان)) التي أسر فيها عدداً آخر من العبيد.

---

22- المصدر السابق، ص 578.

23- رحلة محمد علي ، ص 40.

24- المصدر السابق، ص 40.

## خاتمة :

بالغ مدونوا هذا التقرير في تعظيم محمد علي والتطويل له . فهم قد وصفوه بالحرص الدائم والمستمر على مصالح الرعية تارة ، وبالمتمتع بالحكمة البالغة والشجاعة النادرة والثبات الفريد عند الشدائد والمحن تارة أخرى . رغم ذلك فإن أهمية هذا التقرير تنبع من أنه يؤيد وجهة النظر القائلة بأن إستغلال موارد السودان كان الهدف الرئيسي للغزو التركي - المصري للبلاد سنة 1820-1821 . وفي نفس الوقت فإنه يمدنا بمعلومات هامة - وأحياناً جديدة - عن السودان ذلك الزمن .



صورتان للطرنباش

### صورتان للطرنباش

## نص ونحقيق التقرير

مركز أبحاث مصر المعاصر ، علبة السودان ، رحلة ساكن الجنان مولانا الكبير محمد علي إلى السودان، مترجمة عن وثيقة تركية محفوظة في ملف المتفرقات (دوسيه بدون تاريخ من المحفظة نمرة 123 عابدين، رجب - شوال سنة 1254)

لما كان مولانا الخديو<sup>(25)</sup> صاحب المآثر العالية - دام في مركز جلاله إلى يوم القرار - موفقاً من لدن الحق جل وعلا في تكوين أمة حسيمة وإنتاج أعمال عظيمة ، فإنه منذ لك الوقت السعيد الذي تربع فيه على أريكة العز والشأن ، وأستظل سكان البلاد بطول سطوته إلى هذا الوقت المحفوف بالمسرات ، حكم كل الذين حنكتهم التجارب ، وجزم سكان كل ديار بأنه عاهد نفسه على إستحصال أسباب الرفاهية للرعايا ، وإستكمال وسائل الأمن والطمأنينة للبرايا . وكان ديدنه تنظيم منازم البلاد وتقديم مصالح العباد . فقام بمقتضى ما جبل عليه من علو الهمة وسمو الرأفة إلى النظر بعين العناية إلى حالة سكان بلاد السودان المستظلمين بظلاله السنية الذين رأى فيهم القابلية لإقتباس لوازم النظام ، وإلى وضع الترتيبات الكفيلة بتحويلهم إلى طريق المدنية . ورأى بثاقب فكره أن السودان - لبعده عن مقر الحكومة التي منقبة العدالة - محتاج إلى توحيد تطوير سكانه المشتتة وأمزجتهم المفتتة غير المؤتلفة بقدر الإمكان، كما أنه محتاج إلى إستقرار الشئون التجارية والزراعية فيه ، لا سيما وأن المدون في كتب الجغرافيا والمشهور إلى يومنا هذا أن تجارة السودان الأصلية منحصرة في الجلد والشمخ والعاج والتبر وما إلى ذلك . ويتضح من هذا بجلاء أن معدن الذهب موجود بالفعل في هذه البلاد . ولهذه الأسباب إعتزم جنابنا العالي زيارة السودان لما في هذه السياحة من مبررات حسنة، وقرر الوصول إلى معرفة حقيقة هذا التبر.

فأوفد فيما تقدم من أيام بعض المعدنين إلى أقاصي بلاد السودان وأطلع على تقاريرهم المتعاقبة الورود. فعلم منهم أنهم شاهدوا أثر التبر الموجود في الوديان الموجودة في الأراضي المنبسطة في قزنقور<sup>(26)</sup>. وما جاورها<sup>(27)</sup>. فأستقر رأيه على إستخراج

25- كان إسماعيل (1863-1879) هو أول من منحه الإمبراطور العثماني لقب خديو . إلا أن محمد علي (1805-1848) ، وخليفته عباس وسعيد (1848-1863) أطلقوا أحياناً على أنفسهم هذا اللقب في مكاتبتهم الرسمية.

26- المقصود قرية كشنكرو الحالية الواقعة غربي أغرو . هذا وقد ظن محمد علي أن الذهب يوجد في ((خور الذهب)) الواقع على مسيرة خمس ساعات جنوبي هذه القرية . غير أن شكري قد أورد في ترجمته نصاً مبهماً قال فيه أن مناجم الذهب وجدت ((بجوار فاشنغارو)) في ((أقاصي السودان)). رحلة محمد علي ، ص 45.

27- أرسل محمد علي في إبريل 1837 بعثتين للتقيب عن الذهب هناك : الأولى بقيادة المهندس النمساوي

التبر. وعمد إلى صاحب السعادة خير الدين بك ، الذي أحرز رتبة الأدميرالي في البحرية المصرية المنصورة وحصل على الفخار والإمتياز بأستخدامه أكثر من سنتين في المصالح الداخلية<sup>(28)</sup>. فأعلى درجته بتعيينه أميناً للمعدن المذكور . وضاعف شهرته وعقد العزم على تنويع مجموعة أثار حضرته الخديوية بقلع الشلالات وإزالتها بنية توفير الأمان من المهالك والآلام للسياح وهواة السياحة. ولما كان إخراج هذه الفكرة من حيز الفكر إلى حيز الفعل ، محتاج إلى مدة مديدة رأى أن يبدأ العمل في شلال أسوان فتكسر الحجارة وتفتح الطرق للملاحة فيه بالقدر الذي يسمح بمرور الذهبيات<sup>(29)</sup> والسفن الأخرى ناشرة أشرعتها آمنة من الخطر والهلكة وغني عن الإيضاح أن البحر الأبيض<sup>(30)</sup> يجري من الجهة الغربية لجزيرة سنار ، ومن الجهة الشرقية البحر الأزرق<sup>(31)</sup>. ومع ذلك فأنهما يتصلان أحدهما بالآخر في الجهة البحرية من مدينة الخرطوم المعدودة من مرافئ جزيرة سنار على بعد ربع ساعة منها . ومع ذلك فأ الجناب العالي رغبة منه في إستكشاف المنابع<sup>(32)</sup> وتحقيق ما كتبه كتب الجغرافيا ليكون عمله تذكاراً وهدية للأخلاف، أمر بأعداد الآلات والأيدي لكسر الشلالات من المحروسة<sup>(33)</sup> والمديريات وإرسالها . كما أنه أوفد لهذه الغاية ستين جندياً من البحرية وثلاثة قباطن<sup>(34)</sup> من الملمين بفن الرسم ، وزاد عليهم كاتباً قديراً للتقارير (جرنالجي) .

روسيجير (Russeger) ، والثانية بقيادة مهندسه الخاص بورياني (Piedmontese Boreani) وبعد مضي ستة أشهر في التنقيب هناك رفعت البعثتان للباشا تقريرين متضاربين تضارباً تاماً . فبينما كان روسيجير متفائلاً أوضح بورياني عدم جدوى البحث عن الذهب في تلك المناطق. راجع محفظة رقم 265 عابدين، ملف حكمدار السودان ، ترجمة الوثيقة التركية رقم 88 بتاريخ 22 محرم سنة 1254 و Hill, Opcit, P. 67. والمقتطفات باللغة الإنجليزية من تقرير روسيجير التي كتب أصلاً باللغة الألمانية أرجع إلى : -Dunn: Notes, pp. 31 26. ويبدو أن محمد علي غضب على بورياني لتقريره المتشائم مما إضطره إلى تغيير رأيه زاعماً أن الطريقة التي أتبعها في التحليل لم تكن دقيقة. رفاعه رافع الطهطاوي: مناهج الألباب المصرية في مباحج الآداب المصرية (الطبعة الثانية، القاهرة 1912) من 255-56. وقد أرغم محمد علي بورياني - رغم إصابته بالحمى - على الذهاب مرة أخرى للتنقيب عن الذهب في تلك الجهات مهدداً بفصله من منصبه مديراً لتزسانة (دار السلاح) ببولاق إن لم يفعل ذلك Hill: Opcit, p. 67..

28- يقصد أنه عمل موظفاً لمدة عامين في المصلحة المختصة بالشئون الداخلية.

29- جمع ذهبية وهي المركب للركاب.

30- يقصد النيل الأبيض.

31- يقصد النيل الأزرق.

32- يقصد الكشف عن منابع النيل الأبيض.

33- يقصد القاهرة.

34- المفرد قبطان وهو البحار.

وخصص لركوبهم ثلاثة من أفخر الذهبيات . ثم قام علي إبراهيم خير الدين بك أمين المعدن في 27 جمادى الآخر (1254) (35) مستصحباً معه الآلات الصناعية والأدوات المعدنية. ثم أرسل في التاسع من رجب<sup>(36)</sup> صاحب السيادة الأميرالي رستم بك - أحد أعضاء شورى المعاونة<sup>(37)</sup> - ليتولى الإشراف على الذهبيات والفنجات<sup>(38)</sup> من شلالات أصوان<sup>(39)</sup> ووادي حلفه . وذلك مراعاة للاحتياط إذا ما تعذر مرور الباخرة. ثم تحرك ركاب مولانا الدوار الأكرم والخديو المعظم السادس والعشرين من رجب<sup>(40)</sup> المرجب وركب الباخرة مستعيناً بعناية الإله مستصحباً معه صاحب السعادة الميرلو<sup>(41)</sup> يعقوب بك المخصص لخدمات سموه السنوية، وتسعة أشخاص من رجال حاشيته الحائزين على رتبة القائمقام، والبكباشي<sup>(42)</sup> والغول أغاس<sup>(43)</sup> ، وجنبا المحترم توسيحية، قنصل عام دولة اليونان<sup>(44)</sup> الذي أظهر رغبة في السفر في الموكب الخديوي، والميرلاي غبطاني بك<sup>(45)</sup> كبير الأطباء ، والقائمقام عارف أفندي أحد نظار أقلام المعاونة ومعه ثلاثة من

35- الموافق 17 سبتمبر 1838.

36- الموافق 28 سبتمبر 1838.

37- يقصد ديوان شورى المعاونة الذي سمي أيضاً ديوان المعية السنة. وهو إسم أطلق على ديوان الوالي أي حاشية الوالي. وبعد مرض محمد علي سنة 1848/1264 قام هذا الديوان بمهمة مجلس خاص سمي ((المجلس الخصوصي)) وكان لقراراته قوة قرار الوالي. وقد أطلق على هذا الديوان بعد زوال نظام الخديوية في مصر إسم ((الديوان السلطاني)) و ((الديوان الملكي)). وعند نهاية الملكية في مصر أطلق عليه إسم ((ديوان الجمهورية المصرية))، بينما سمي في أول فبراير 1958 ((ديوان رئاسة الجمهورية العربية المتحدة)). مطبوعات دار الوثائق التاريخية القومية : المعية السنوية ، السجل الأول من 6 محرم سنة 1245 إلى 6 رجب 1246، في المقدمة.

38- جمع فنجة وهي المركب.

39- المقصود أسوان.

40- الموافق 15 أكتوبر 1838.

41- المقصود أمير اللواء (Amir-I liva).

42- المقصود البناشي (Binbasi) . وهو الميجور أو قائد البلتون.

43- المقصود «صاغ غول اغاسي» (Sag Qol Agasi) أو صول غول أغاسي (Sol Qol Agasi) والأول ضابط عظيم مهمته قيادة الجيش في الجناح الأيمن بينما كان على الثاني قيادة الجيش في الجناح الأيسر . هذا وإن الأول أعلى رتبة من الثاني.

44- المقصود (1833) Mikhail Tossitza الذي عمل قنصلاً لليونان في مصر خلال الفترة 1833-1854 وكانت له علاقات صداقة مع محمد علي، كما امتلك تجارة واسعة تمركزت في الإسكندرية وتوفي في أثينا. Hill, R. A. Biographical Dictionary of the Sudan (London 1976),p.361.

45- ورد هذا الإسم خطأ في ترجمة شكري ((جيطاني بك)) رحلة محمد علي ، ص 47.

الكتاب<sup>(46)</sup> وسار الموكب الميمون بالقرب من شاطئ النيل لتيسير مشاهدة القرى وزراعتها. ولما وصل الركب السعيد أمام قرية العطف - التابع لإقليم الجيزة والواقعة على مسيرة سبع ساعات من المحروسة - توقفت الباخرة عن المسير بسبب مصادفتها وحلاً. فهرعت الخلائق من كل فج وزاد عددهم عن الألف ، وسعوا بحراً وبراً لتطهير الطريق ، ولكنهم لم يجدوا سبيلاً لذلك . فتعطف مولانا وسمح للمتجمهرين بالعودة إلى مساكنهم بعد أن أجزل لهم العطايا السنوية في مقابل ما لقوه من التعب والمشقة . ووصل الكثيرون ومعهم الالات الواقية من الإقليم المذكور ومن ترسانة بولاق عقب إنصراف الفلاحين . وأمكن تخليص الباخرة من المكان المذكور . وبعد أن صدرت الأوامر إلى المنقذين بتعقب آثار الموكب السعيد، إستقل الباخرة وسار الموكب البحري بعد عصر اليوم التاسع والعشرين من رجب<sup>(47)</sup> قاصداً المنيا، فوصل إليها في غرة شعبان<sup>(48)</sup> ، فنزل بالقصر الخديو الكائن بالمنيا وشرفه بمقدمه المبارك . وتصادف وجود حضرة صاحب العطفة سليم باشا مفتش الأقاليم الصعيدية فحظي بشرف المثلوث وتقبيل عتبات ولي النعم . ومكث جنابه العالي بالمنيا يومين قضاهما في إصدار التنبهات المتعلقة بشؤون الأقاليم ، وتسوية مصلحة الذخائر الحجازية<sup>(49)</sup> . ولم وصلت الأنباء بوصول الباخرة أمام ساقية موسى<sup>(50)</sup> إحدى البنادر الصعيدية ، إستقل جنابه العالي الباخرة منها فوصل إلى إسنا يوم الخميس<sup>(51)</sup> حيث زاد أهلها فخراً بشرف قدوم ولي النعم . وغادرها يوم السبت فوصل منها إلى بلدة أسوان في التاسع من شهر شعبان<sup>(52)</sup> . ورأى فيها سموه أن الذهبيات التي يستغلها المندوبون للبحر الأبيض قد مرت من

46- ذكر هل أن ضمن من صحبوا الباشا في رحلته المعدن أحمد أفندي يوسف وثلاثة مهندسين فرنسيين - دارنو D'arnaud ولامرت Lambert وليفيير Hill: op. cit, p.67 لم يذكر التقرير أسماء هؤلاء الرجال الأربعة بالتحديد ولكن يبدو أنهم كانوا ضمن التسعة أشخاص من رجال حاشية الباشا الذين ذكروا فيه. هذا وقد كان ليفير مهندساً مشهوراً ببراعته في علم المعادن. وقد سبق أن استخدمه محمد علي في مدرسة المعادن المصرية. الطهطاوي : مناهج الأبواب ، ص 256.

47- الموافق 18 أكتوبر 1838.

48- الموافق 20 أكتوبر 1838.

49- يقصد الأوامر التي أرسلها الباشا فيما يتعلق بتموين الحجاز.

50- بدلاً من «ساقية موسى» سمي شكري هذا المكان «موسى». رحلة محمد علي ، ص 47.

51- أخطأ شكري بأن ذكر أن ركب محمد علي وصل إلى إسنا يوم الجمعة . المصدر السابق، ص 47.

52- الموافق 28 أكتوبر 1848.

الشلال وأمر بذهابها إلى الخرطوم<sup>(53)</sup>. وأتضح أن الباخرة لم تستطع المرور من الشلال ورأى أن الحاجة ماسة إلى الذهبيات التي مرت بصحبة رسم بك الذي أسلف ذكره . فوصلت أمام برية أصوان<sup>(54)</sup> المعدودة من الأعاجيب المصرية . فانتقل جنبابه العالي إلى الذهبيات في 11 شعبان<sup>(55)</sup> قاصداً إلى المكان المقصود..

وفي 13 و 15 و 16 شعبان<sup>(56)</sup> مر الراكب على كرسكو ووادي حلفه<sup>(57)</sup> وعبكة<sup>(58)</sup> ومر في اليوم السابع عشر من شعبان<sup>(59)</sup> من شلالات سمنة وكسنجرة<sup>(60)</sup> . وشرف مولانا ولي النعم الفنجة الخاصة بسموه بزيارته الشريفة ليكون ذلك باعثاً على تشجيع من كانوا في معيته السنوية . ومر في الساعة العاشرة والنصف من النهار من شلال أمبكو وأنتظر حتى الصباح وصول الذهبيات . ولم يكون مع سموه شيء من المأكول والملبوس، ولكن لم يشاهد أي أثر للمراكب . ولم تصل أنباء عن مكان وجودها فأشغل خاطره الشريف وخاف أن تكون الذهبيات قد مسها سوء . وتبلبل بلبابه<sup>(61)</sup> . وفقد الراحة فأضطر إلى العودة في الرابعة نهاراً. ورأى إحدى الذهبيات وقد مرت من الباب الأول . وبينما كانت على وشك المرور من الباب الثاني مع عدم هبوب الرياح إنقطعت الجبال التي كانت تجر بها من شدة التيار، وأخذت الذهبية في التراجع فجأة فأصطدمت بحجر وأصيبت بعطب. فتعالى الأصوات منذرة بهجوم الماء إلى داخلها طالبة المدد والمعونة. وكان هذا النداء موجياً لفتور العزائم في خلال بضع ثوان. وأضطر مولانا حفظه الله أمام هذا الإضطراب أن ينزل فيقف على قطعة من الحجر في مجرى النيل . وأخذت الذهبية تنطلق من البقعة التي أصيبت فيها سائرة مع التيار بسرعة. إلا

53- يقصد الثلاث مراكب التي أمر محمد علي بإرسالها لإكتشاف منابع النيل الأبيض. إختار محمد علي خير الدين ليتولى قيادة هذه البعثة . إلا أنها لم تبخر من الخرطوم إذ أن محمد علي أعفى خير الدين من قيادتها وأوكل ذلك لضابط بحري آخر . وهو البكباشي سليم قبودان.

54- يقصد أسوان.

55- الموافق 30 أكتوبر 1838.

56- الموافق 31 أكتوبر و 3 نوفمبر و 4 نوفمبر 1838 على التوالي.

57- المقصود وادي حلفا.

58- أخطأ شكري بتسمية هذه القرية أبكة . رحلة محمد علي، ص 48.

59- الموافق 5 نوفمبر 1838.

60- زعم شكري أن ركب الباشا وصل في ذلك اليوم إلى مكان سماه ((كشنغارو)). المصدر السابق ص 48.

61- المقصود إهتم بالأمر.

أن النويته<sup>(62)</sup>. تمكنوا من نشر القلوع<sup>(63)</sup>. ووضع العقبات. وبفضل ما فعلوه التصقت بالساحل وطلبوا فنجة فوصلت إلى مكان موافق. ولكن شاء القدر أن يصبها بنزع التيار الشديد سكانها<sup>(64)</sup>. من مكانه. ولكن أحد رؤساء الشلالات لم يفقد شجاعته ولم يخشى شدة التيار على الرغم من كثرة الأحجار في تلك البقعة. وأخذ يسبح حتى تمكن من إخراج السكان ووضعهم مكانه. وعقب ظهور هذه الشجاعة النادرة والمهارة، ركب ولي النعم الفنجة وأخذ النويته يجدفون بقوة. وكان مولانا حفظه الله ييثر فيهم روح النشاط ويحضهم على العمل منادياً إياهم هيا يا شباب. ولما خرج حفظه الله إلى شاطئ السلامة تفضل فوجه الخطاب إلى الأغا القهوجي باشي<sup>(65)</sup> قائلاً ((إن الريح تهب الآن فعجل وأسع إلى سد الثغرة في الذهبية وأنشر هذه القلوع ومر من مضيق الغرب)). وعقب صدور هذا الأمر السامي نشر الأغا القلوع. وبينما كانت الذهبية تقف ثارة وتراجع مرة أخرى إذ لحقتها العناية الربانية وأخرجتها مما هي فيه إلى ساحل السلامة. وكان رستم بك مكلفاً بأمرار الذهبيتين، فتمكن هو الآخر بفضل الله تعالى على التغلب من شدة التيار وأوصلهما سالمين. فشمّل الجميع السرور وسدت الثغرات ورمت الخسائر. وفي 20 و 21 شعبان<sup>(66)</sup> مر الركب على تيمون فبني عكاشة<sup>(67)</sup>. ولم يمكن المرور من شلال دال<sup>(68)</sup> إلا بعد صعب كثيره. ثم شرع في إتخاذ التدابير الكفيلة بالمرور بسهولة من شلال فاجيار<sup>(69)</sup> الصعب المرور،

62- يقصد النواتية أو النواتة. جمع نواتي وهو الملاح.

عون الشريف قاسم: قاموس اللهجة العامية في السودان (الخرطوم 1972)، ص 795. وسأرجع لهذا المصدر فيما بعد ب: قاموس اللهجة.

63- القلوع جمع قلع وهو الشراع.

64- يعرف السكان في اللهجة العامية في السودان بالدفة. وهو الجزء في مؤخرة السفينة لإمالتها من جهة لأخرى. قاموس اللهجة، ص 241.

65- القهوجي هو صانع القهوة لمحمد علي. وهو موظف صحب الباشا في كل رحلاته وكان مسئولاً أيضاً عن الإشراف على طعامه.

66- الموافق 8 و 9 نوفمبر 1838 على التوالي.

67- تيمون وبني عكاشة أسماء قريتين.

68- جاء إسم هذا المكان في ترجمة شكري (ضال). رحلة محمد علي، ص 49.

69- جاء إسم هذا المكان في ترجمة شكري (كشغار). المصدر السابق، ص 49.

وأقترَب الركب من الشلال المذكور يوم ٢٢ شعبان<sup>(70)</sup> ، ولكن المرور منه بدون جر أمر محال ، وكان الأقرب إلى الإحتمال أن يكون المرور منه بواسطة الحر لإمكان الوصول إلى الساحل إلا أن القهوجي باشي تعجل وأمر الساحبين بأن يتكروا الحبال ظناً منه عدم وجود مهالك ومصاعب . ولما نشر النويته أشرعت الترانكت<sup>(71)</sup> ولكنها لم تنتفخ باهواء لقلّة الريح الموافقة ولشدة التيار . لم تستطع الذهبية التقدم ، بل أخذت تتراجع بغتة وزاد القلق عليها خشية من إمتلائها برذاذ<sup>(72)</sup> المياه وإصطدامها بالحجارة تحت ضغط التيار . وأخذ أكثر من في الذهبية يسعى للخروج منها خوفاً على حياته من الموت . ومن بقى فيها أخذوا يصرخون ويولولون ليسرع مولانا ولي النعم إلى مغادرتها . ولكن مولانا قال لهم بلهجة التأكيد : « لا تجعلوني في حيرة من أمرى كما فعلتم في شلال أمبكوّة<sup>(73)</sup> ودعوني لتجاربي » . وثبت في الذهبية وأمر الملاحين بأن يقبضوا على مقابض المجاديف مشجعاً إياهم بكلمة هيا يا شباب . فأخذوا يجدفون بقوة . وأمر بنشر القلوع وأمدته العناية الصمدانية ووافته السلامة والحمد لله ، و تمكن من المرور فى 23 شعبان<sup>(74)</sup> من شلال حك<sup>(75)</sup> بالسلامة . ولم يتيسر لذهبية كبيرة الهيكل أن تمر من دون جرها باللبان<sup>(76)</sup> من هذا الشلال حتى الآن ، وربما استحال عليها المرور أيضاً بواسطة جرها . ولم يخطر ببال أحد أن يمر ليلاً بتلك الجهات خوفاً وحذراً من الإصطدام بالأحجار والصخور المغمورة تحت الماء ولكن الحضرة الخديوية التي هي منبع الكرم قد يسرت هذا الأمر العسير وجعلت المرور والعبور أمراً ميسوراً بفضل ما أغدقته على النوتية والملاحين من العطايا السنوية الوفيرة . وحفزهم بكرمه على بذل جهودهم وقواهم وثباتهم التام . فقاموا بعملهم خير قيام من إستعمال المدرة<sup>(77)</sup>

70- الموافق 10 نوفمبر 1838.

71- يبدو أن الترانكت نوع من القماش.

72- رذاذ أو رزاز يعني في العامية السودانية المطر الخفيف. قاموس اللهجة، ص 285.

73- ورد إسم هذا المكان في ترجمة شكري ((أبوجل)). رحلة محمد علي ، ص 49.

74- الموافق 11 نوفمبر سنة 1838.

75- المقصود قرية حنك شمالي كرمة.

76- يعني جرها بالحبال.

77- المدرة قضيب يستعمله الملاح لدفع المركب حين يكون الماء ضحلاً. والمدراً ما يدفع به . قاموس العامية ، ص 733.

وجر اللبان وتحريك المجاديف في كثير من الجهات ونشر الأشرطة. وهذا دليل على فضل الله عليه يؤيد همته الفائقة وموفقيته الحقيقية . وفي الحقيقة أن ما شوهده من الملاحين المصريين في هذا الصدد ، ومن السرعة والجرأة ليدل دلالة قاطعة على تفوقهم العظيم على أمثالهم من الملاحين الآخرين. وخالصة القول فأن الركب الكريم قد وصل إلى دنقلة<sup>(78)</sup>. وبسط بساط الإقامة فيها يومين في إنتظار مقدم المسافرين. وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان<sup>(79)</sup> طوى بساط الإقامة وغادر دنقلة فوصل في 27 منه<sup>(80)</sup>. إلى ناحية أمبكول<sup>(81)</sup>. وأتصل بسمع ولي النعم أن الوصول إلى الخرطوم في مدة يسيرة متعذر وممنوع الحصول لسبب أعوجاج مجرى النيل، وأن بالإمكان الوصول إليها من الطريق البري خلال سبعة أو ثمانية من الأيام . فأمر سموه بالإقامة في أمبكول ثلاثة أيام لإعداد المطايا وتجهيز لوازم السفر . وأصدر أوامره إلى المختصين بمتابعة السفر وسوق المراكب إلى مرسى الخرطوم. وقام في آخر شعبان<sup>(82)</sup> إلى العقبة<sup>(83)</sup>، وهي المرحلة الأولى. فرأى سموه في الصحراء الرملية الواسعة بعض الأشجار المندرسية التي تحجرت بمرور العصور والدهور . وأخذ ولي النعم يطوي اليد ويقطع العقبات والمنازل ليلاً ونهاراً حتى حط ركابه السعيد في جبل رويان في صباح اليوم الخامس من رمضان<sup>(84)</sup>. فأستقبله فيها محمد مدين<sup>(85)</sup> أصغر أخوة سلطان دارفور الذي كان قد هرب قبل سنتين من ظلم أخيه وجوره، وأعتصم بحكومة ولي النعم . فقدم من

- المقصود مدينة دنقلا .

79- الموافق 14 نوفمبر 1838.

80- الموافق 15 نوفمبر 1838.

81- المقصود قرية أم ببول . هذا وقد أخطأ شكري بتسمية هذه القرية ((أمبيكل)). رحلة محمد علي ، ص 50.

82- الموافق 17 نوفمبر 1838.

83- يبدو أن العقبة كانت مكاناً في صحراء بيوضة تنزل فيه القوافل.

84- الموافق 22 نوفمبر 1838.

85- المقصود محمد أبو مدين أخ السلطان محمد الفضل (1215-1254/1787-1839) الذي كرهه وزاحمه على الملك . وفي عام 1836 فر أبو مدين ملتجئاً لحكومة محمد علي، وأخذ يهون على الباشا غزو دارفور . وقد ظل لاجئاً في كردفان إلى أن توفي. نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان، ص 462.

هذا وقد تقدم الحكمدار خورشيد باشا بخطة لمحمد علي إقتراح فيها إنتهاز وجود أبو مدين لغزو دارفور وتعيينه حاكماً رمزياً عليها لفترة قصيرة تتدخل بعدها القوات التركية- المصرية لعزله مع تخصيص معاش له. غير أن محمد علي أمر خورشيد أن لا يدخل نفسه في هذه التجربة إلا بعد الإنتهاء من مهمة التنقيب عن المعادن التي أولكت له. ونظراً لنقل خورشيد من الحكمدارية سنة 1838 تأخر غزو دارفور مرة أخرى Hill: op cit, p. 30-31.

كردفان إلى الخرطوم ومنها إلى الجبل المذكور ، وأنار بصره بكحل تراب وأقدام الحضرة الخديوية . ونظراً لأنه أخذ إلى الخرطوم فأمر أن يدون جريدة حاله <sup>(86)</sup> . فأخذ يروي أن ملك دارفور <sup>(87)</sup> رجل مغرور واقع تحت تأثير الوهم ، وفي سبيل إستقرار ملكه يبتعد مراحل كثيرة عن الحق والعدالة. وأستطرد من هذا إلى قتل أخاً له ، وأنه يسرف أوقاته في إهراق <sup>(88)</sup> دماء الأقارب . كما أنه أوقعه في الخوف وجعله أسير الأسف مما حفزه إلى إختيار طريق الأخذ بالثأر أسوة بما فعله عمه الملك تيمة <sup>(89)</sup> الذي هاجر إلى كردفان خوفاً على حياته من شروره . وأقام في ظل المراحم السنية. وأنه يستظهر الجناب العالي للأخذ بثأره من أخيه . وأما هذا الشاب فقد حصل على قدر من القراءة والكتابة ، وأن لديه الإستعداد للتشرف بشرف المدينة بسبب صغر سنه . وفضلاً عن هذا فإن الملك الذي يشكو منه يتاخم حدود مديرية كردفان . وهو بسبب رعونته وخشونته قابل الإحسان بالإساءة عندما أوفد الجناب العالي في سنة 1241هـ <sup>(90)</sup> بعثة مكونة من نحو عشرين شخصاً مع أحمد بك الجداوي <sup>(91)</sup> - من قدماء الكبراء المصريين - نصفهم من أتباع الدائرة الخديوية ونصفهم من أتباع البك المذكور . وأرسلهم إلى هذا الملك مع كثير من الهدايا القيمة بغرض توسيع طرق التجارة ، وليطمئن كل تاجر على ماله في الطرق والمعابر . فسد باب العدل ونظر في المرآة بعين الإستكبار ، وظن في نفسه قوة وجبروتاً . فتجاسر على القبض على البك المذكور وأعتقله هو ورفقائه وأتباعه . وقد وصل إلى الأسماع أن ثمانية عشر منهم تسربلوا بالأكفان حتى يومنا هذا . كما أن بقاء البك حياً إلى اليوم وهو في حال الذل لما يلقي من الأسى والحزن في قلوب المصريين المحبين للخير <sup>(92)</sup> . ولن يغربن عن البال أن كل واحد قد

86- المقصود شرح ظلامته.

87- المقصود السلطان محمد الفضل الذي توفي سنة 1839، وخلفه ابنه السلطان محمد حسين 1254-1290/ 1839-1874.

88- يقصد إهدار.

89- تيمة هو عم السلطان محمد الفضل ومنافسه في الحكم . وقد هرب إلى كردفان قبل سنة 1836 مستعيناً بحكومة محمد علي ضد ابن أخيه.

90- الموافق 1825.

91- أخطأ في زعمه بأن أحمد بك الجداوي كان ((ممثل محمد علي في بلاط سلطان دارفور)). Hill: op cil, p.30.

92- وردت عدد من الأخطاء في ترجمة شكري للجزء الخاص بدارفور في هذا التقرير . فهو قد زعم أن تيمة قد كان سلطاناً على مملكة ((قريبة جداً من دارفور)) وأن أبو مدين قد التجأ إليه هناك بينما لم يكن تيمة سلطاناً

نقش على صحيفة صدره أن الأمور مرهونة بأوقاتها . وبناء على ذلك قال له الجناب العالي: ((إن رغبتى متجهة إلى إجلاسك مكان أخيك)). فأحس في هذا الملتجئ ميت الأمل وأكتفى في الوقت الحاضر بالإنعام عليه بعرفية<sup>(93)</sup>. مزركشة بأسلاك الذهب ، وسيف مذهب ليزين هامته ، ومنطقة بعلامات علو المنزلة ورفع القدر المعروفة بين ملوك ممالك السودان . ولما خطى بهذا الشرف العظيم التمس السماح له بالعودة إلى كردفان ليقيم فيها ناعم البال بفضل المرتب المقرر له ، وليعدد فيها مناقب الخديوي ويسبح بحمده. فسمح له بالعودة مطيباً مكرماً إلى كردفان.

ونظراً لوجود حضرة ((صاحب العطوفة)) أحمد باشا<sup>(94)</sup> - أكفأ الميرمرانات المصرية في وادي مدنه<sup>(95)</sup> فإنه حضر منها وتشرف بتقبيل الأذيال الخديوية . وحظى بالتعطفات الكريمة ، ونال التصريح من ولي النعم ليتقدم الموكب مسرعاً ويبقى في الروسيرس<sup>(96)</sup> في إنتظار جنابه العالي . فسافر إلى جهة واد مدني في أواسط رمضان . ومدينة الخرطوم فيما تقدم من الزمان عبارة عن عدد قليل من المساكن البسيطة المصنوعة من القش والحطب على شكل خيمة . إلا أن حضرة صاحب العطوفة حكمدارها السابق<sup>(97)</sup> . أحبها لإعتدال هوائها ، فبنى فيها قصرًا ومسجدًا ، وأنشأ فيها بساتين ، وطرح فيها الحدائق، وشجع الأهلين والآخرين إليها في سبيل عمرانها. فوصلت والحالة هذه بفضل تشجيعه إلى هذه الدرجة من العمران . فأصبحت المدينة تشمل

---

على أي مملكة آنذاك. بل أنه وأبو مدين لجأ لمحمد علي ليساعدهما ضد سلطان دارفور محمد الفضل. وأخطأ شكري مرة أخرى عندما زعم أن تيممة قد أرسل وفداً إلى سلطان دارفور بقوله : ((وأراد الملك تيممة أن يسود السلام بينه وبين السلطان فأرسل إليه أحد شيوخه مع عشرين من الأتباع يحملون الهدايا الثمينة. وأراد الملك تيممة أن لا يزيد نصيب سلطان سنار من هذه الهدايا على نصفها بينما يذهب النصف الآخر إلى الجناب العالي. ولكن الجشع والغرور جعل سلطان دارفور يغتصب جميع الهدايا لنفسه . فضلاً عن ذلك فقد جرؤ على إحتباس البعثة في بلاده ثم قتل ثمانية عشر من الأتباع وسجن الشيخ نفسه)). رحلة محمد علي ص 50. ونلاحظ الخطأ في مضمون هذه الفقرة إذ أن محمد علي وليس تيممة هو الذي أرسل هذا الوفد. وبالإضافة لذلك فهناك إضافات في هذه الفقرة لم ترد في التقرير الرسمي.

93- تعني طاقية.

94- يقصد أحمد باشا أبو ودان حكمدار السودان 1838-1843.

95- يقصد مدينة ود مدني.

96- يعني مدينة الروصيصر الحالية . ومن الروصيصر رافق أبوودان محمد علي في رحلته إلى فازوغلي.

97- يقصد خورشيد باشا الذي تولى حكمدارية السودان خلال الفترة 1826-1838.

400-500 منزل<sup>(98)</sup>. وبها ثكنة ومستشفى وحدائق كبيرة. وأمكن تناول الفواكه الطازجة مثل العنب<sup>(99)</sup>. والتين<sup>(100)</sup> وغيرها في الذهب والإياب. وقطعت الذهبيات المرسله من أمبكول المسافة التي قطعت براً في ستة أيام ونصف في ثلاثين يوماً بحراً. فوصلت إلى الخرطوم في آخر رمضان<sup>(101)</sup>. وكان ولي النعم مضطراً إلى إنتظار ورودها، فأقام هذه المدة ولكنه أصيب بالملل. ولذلك نزل في الذهبيات مع حاشيته قبيل الغروب. وأقلع الركب إلى الجهة المقصودة. وعندما وصل الركب إلى المكان المسمى سروه<sup>(102)</sup> الذي هو رأس القم جاء الملك بادي<sup>(103)</sup> وحظى بشرف تقبيل الأعتاب الكريمة. والتمس من جنابه التكرم بمنح مرتب أبيه المتوفي إليه. فشمله بالرعاية الكريمة، وأسبغ عليه التعطفات العلية، وأمر بالإنعام عليه بمرتب والده القديم.

وأظهر رجال الحاشية الخديوية رغبة في الصيد والقنص أثناء الطريق فأذن لهم مولانا. فأخذوا يصطادون كلما وقع عليه نظرهم، ويقدمون الصيد إلى الأعتاب البهية. وكان مولانا يفحص كل صيد يعرض عليه خصوصاً الطيور. وكان يشمل بعطفه ورعايته كل من يسعده الحظ في الصيد. وأخذوا يتسابقون إلى الإستزادة من العطف والتوجيهات العلية. وكان ميلهم إلى الصيد تسلية عظيمة لهم أثناء الطريق حتى نسوا متاعب السفر. فمروا من بلدة واد مدني التي تحوي نحو مائتين أو ثلاثمائة من المنازل وكنة كبيرة تستوعب آليا من الجنود، ومستشفى، وشونة، وسوقاً عظيماً تفتح ثلاثة شهور في العام. ومروا أيضاً من سواحل سنار وسروه<sup>(104)</sup> وملحقاتها بمنتهى

98- أخطأ شكري مرة أخرى إذ ذكر في ترجمته أن عدد تلك المنازل آنذاك ((حوالي الأربعة أو الخمسة آلاف منزل)) رحلة محمد علي، ص 51.

99- المعروف أن العنب لا يزرع في السودان. ولعله قصد بذلك شجر الأنزوم والحميض الشبيه بشجر العنب والمنتشر في تلك المناطق.

100- يقصد التين الشوكي الذي ينبت في تلك المناطق

101- المقصود قرية سريو الحالية الواقعة جنوبي سنجة وشمالى أبو حجار. وغالبية سكانها الآن من الفلاتة.

102- الموافق 17 ديسمبر 1838.

103- هو ابن السلطان بادي السادس بن طبل آخر سلاطين الفونج (1803-1821) الذي خرج من سنار عندما قرب الجيش التركي - المصري الغازي منها، وسلم لقائده إسماعيل بن محمد علي مقدماً له أربعة رؤوس من جياذ الحبشة. ومكافأة له على هذه الطاعة، كساه إسماعيل كسوة فاخرة، ورتب له مرتباً من الدراهم والحبوب. شقير : جغرافية وتاريخ السودان، ص 499.

104- لعله يقصد قرية سيرو الحالية الواقعة شمال الدمازين على الشاطئ الغربي. هذا وقد ورد في إحصاء عام 1883 عن أعداد جنود الحاميات المصرية على النيل الأزرق أنه يوجد بحامية سيرو ((900 عساكر شايقية)). مكي شبكية: السودان والثورة المهديية، ج2 الخرطوم 1979، ص 18، نقلاً عن رسالة بعث بها وكيل الحكمدرارية في

الفرح والسرور والغبطة والحبور . وشاهدوا عدداً عظيماً من من يفوق الوصف والتقدير من الكركي<sup>(105)</sup> والأوز والطيور الصحراوية إعتباراً من الخرطوم حتى الروصيرص<sup>(106)</sup> . ووصل الركب إلى الروصيرص في شهر شوال<sup>(107)</sup> . ولما جاء قاضي كردفان ومفتيها والسلطان تيمة عم ملك دارفور ، أنعم عليهم ولي النعم بالخلع الخاصة ، فلبسوها في حضرته البهية . وأعلى قدرهم بهذا الإنعام السامي . وأقام فيها ولي النعم خمسة عشر يوماً وأمر بصيد الحيوان الظريف المسمى زرافة<sup>(108)</sup> . وتنازل حفظه الله بأكل القليل من لحمه من باب التجربة . ورأى أن طعمه يشبه لذة طعم العجل . ووصل من خلال أيام إقامته المراكب المشحونة بالمواد المعدنية ، كما وصل خسرو أفندي الترجمان الثاني ، ومنهـدس المعدن، والمترجم المكلف بالترجمة من الفرنسية إلى العربية، وعشرة من التلاميذ. فتحرك الركب العالي يوم 25 شوال<sup>(109)</sup> وبات ليلة في كل من فرسند<sup>(110)</sup> وجلولة<sup>(111)</sup> وعقبات<sup>(112)</sup> . ثم وصل إلى جبل فيروغلي<sup>(113)</sup> القائم على مسيرة 21 يوماً من الخرطوم في وقت الضحى من يوم 28 شوال المكرم<sup>(114)</sup> . وضربت فيه الخيام الخضراء الشبه بالزمرد . وشرع في الحال في بناء قصر خاص للذات الخديوية ، وأنشأ ثكنة ومستشفى للذخائر بجوار هذا القصر.

الخرطوم إلى القاهرة بتاريخ 24 نوفمبر 1883.

105- يقصد الطائر المعروف في السودان بأسم أبو الكركي.

- لم تتضمن ترجمة شكري كل المعلومات التي وردت منذ بداية هذه الفقرة وحتى هنا.

107- الموافق ديسمبر 1838 - يناير 1839.

108- يبدو أن محمد علي قد كان معجباً بهذا الحيوان - الزرافة - قبل أن يراه إذ أنه قد أمر كلاً من عثمان بك سر عسكر سنار وكردفان (1825-1826) وخليفته محو بك (1826) بالعمل على إرسال زرافتين إليه في مصر . فهو قد وجه محو بك قائلاً: ((مَا أَنْ الإيصار بأرسال الزراف كان بناء على فكرة فلا داعي لإرسال أحديهما وحدها . فعليك أن تغري الشخص الذي يقوم بتربية الزرافة الموجودة وتنبه عليه بأن يعنى بتربيتها إلى أن توجد زرافة أخرى ولما صارت هذه الأعمال إليكم يجب أن توصوا بزرافة أخرى حتى إذا عثر عليها بلطفه تعالى بادروا بإرسالها معاً)).  
دفتر رقم 20 معية تري ، ترجمة المكاتبه التركيه رقم 34 بتاريخ 28 شوال 1240.

109- الموافق 11 يناير 1839.

110- لا يوجد مكان بهذا الإسم الآن.

111- لعل المقصود بذلك قرية بن جلولو الواقعة في غرب النيل الأزرق جنوب غرب بكوري .

112- لعل المقصود قرية عقبي أو أقبي الحالية الواقعة في شرق النيل الأزرق حوالى خمسة وعشرين كيلو شمال شرق قرية ود الماحي.

113- المقصود فازوغلي.

114- الموافق 14 يناير 1839.

وسكان الممالك الإسلامية على مذهب الإمام مالك . وطوائف العبيد ليس لهم مذهب خاص ، بل يتبعون كل مذهب . ويمكن تقسيمهم جميعاً إلى ثلاثة أقسام: مديون<sup>(115)</sup> وبدويون<sup>(116)</sup> وجبليون<sup>(117)</sup> . فالجبليون منهم كالأنعام لا يفقهون شيئاً عن أحول العالم وهم قوم متشردون يسكنون الصحراء والبراري ويشربون المريسة والبليلي<sup>(118)</sup> أي البوطة<sup>(119)</sup> وعصير العنب<sup>(120)</sup> . وإذا لم يجدوها يأكلون قشر الشجر<sup>(121)</sup> وعلى الرغم من ذلك فإن أجسامهم الدهنية قوية ، ويأتزرون بمنطقة من الجلد العفن . وكل حياتهم عبارة عن جهل وكسل ، ومشاكلهم مقرونة إلى البيع والشراء في بني نوعهم . ومن يملك منهم سريراً يسمى العنقريب ، أو يستطيع أكل الحبال المأخوذة من الجلد<sup>(122)</sup> كلما جاع ، فهو الغني المتشرف بالشرف المفروق بين الأرض والسما . ومع ذلك فأنهم بسبب إعتدادهم بدعوى الشهامة يتمنعون عن التسلط والتعدي ليلاً . ولكن ما ابتلوا به من عدم الأمانة والعداوة يمنعهم من الإلتفات إلى الحراثة والزراعة ، وجعل ميولهم منحصرة في الغارة على سكان السواحل ونهب محصولهم<sup>(123)</sup> . فعد

115- لعل المقصود بالمدينين هنا السودانون الذين وفدوا من شمال السودان بغرض التجارة (الجلابة) وأستقروا بمرور الزمن في تلك المناطق . ويعرف هؤلاء حالياً بأسم ((الخصريون)) بل أن هناك الآن قرية قسمى الحضور تقع شمال بكوري.

116- تفد مجموعات من السودانين العرب بماشيتهم إلى تلك المناطق في فصل الصيف بحثاً عن المرعى ويرحلون منها منذ منتصف مايو إلى أن يصلوا في يوليو إلى جهات كوستي على النيل الأبيض حيث يقضون فصل الخريف هناك . ولعل المقصود من ((البدويين)) في هذا التقرير هذه المجموعات من الرعاة . وقد قابلت عدداً من هؤلاء خلال رحلتي الميدانية . مثلاً في قرية ((خرطوم بالليل)) بالقرب من قيسان وفي قرية أم درفه.

117 - أنظر هامش رقم 19 ، ص 27 .

118- المقصود أم بلبل . وهو نوع جيد من المريسة يقدم لعلية القوم.

119- البوطة إسم آخر للمريسة .

120- لا يزرع العنب في هذه المنطقة . ولعل التقرير قد خلط بين شجر الأنزوم والحميض المشابه لشجر العنب. ويستخرج منهما عصيراً (أفاده الشيخ محمد عوض يوسف).

121- يقصد عروق الشجر . وقد أخبرني الشيخ محمد عوض يوسف أن فئات الجبلاويين يأكلونها حتى يومنا هذا، ويصنعون منها ملاحاً يسمى ((ملاح القنا)). بل وأن الشيخ محمد قد أكلها بنفسه في بعض أوقات الشدة.

122- يبدو أن المقصود ((بالحبال المأخوذة من الجلد)) الشرموط . والشرموط قطعة من اللحم تقطع في شرائح طويلة لتجفف . ومنه ملاح الشرموط . قاموس العامية ، ص 400.

123- ظلت هذه الفكرة المنحازة عن أهالي السودان سائدة آنذاك عند المستعمرين الأتراك - المصريين وغيرهم . ونلاحظ أن هذا الجزء الذي يسخر من أهالي السودان ويتحدث عن بدائيتهم ناقص ومبتور في ترجمة شكري. أنظر: رحلة محمد علي ، ص 52.

المظلومون تشريف ولي النعم فرصة وغنيمة وشرعوا في رد الناهبين ، وأخذوا يصيحون ويولولون . وأتفتت كلمة مشائخهم ورؤسائهم على أخذ الثأر والإنتقام من المغيرين . ولما ذهب الباشا المشار إليه <sup>(124)</sup> إلى جهات جبل طاق <sup>(125)</sup> لإسداء النصح إليهم وإرشادهم إلى طرق حسن المعيشة والمؤانسة ، خافت طائفة العبيد وإعتراها الوهم . فأخذت تستعد للدفاع بالقوة . وأتضح من جري الأمور أن الأمر سيفضي الإشتباك معها في معارك عديدة ومجاريات شديدة تسيل فيها الدماء . ولما كان سفك الدماء مخالف لرأي الجناب العالي من كل الوجوه ، ولذلك آثر الباشا إجتناج الحرب على الإشتباك معهم في حرب ضروس . فأمر بسحب الجنود وإعادتهم . ولكن الجنود سرت فيهم الاحتجاج على أمر العودة وثبتوا في قواعدهم محتجين بأنهم قطعوا مسافات شاسعة ، ورأوا بأعينهم ميل الأشقياء إلى العدوان ، ومبادرتهم إلى مباراتهم بالحرب . وقالوا: أبعد هذا يجوز لنا الإنسحاب؟)) وبعد هذا الإحتجاج ، صرح لبكباشي واحد للقيام بأمر المحاربة . فبدأت المعركة وهم على جبل رقيق <sup>(126)</sup> من توابع الجبل المذكور . وأغتتم أبقار عديدة وأسر نحو خمسمائة منهم رجالاً وصباناً ونساء . وتمكن من كسر أنوف نخوتهم . وبعد أن فهموا مساوئ السلب والنهب وإقتنعوا بقبحها ، تحركت شمس الرحمة وظهرت بوادر الشفقة فصدر العفو عن جرائمهم السابقة ، وأطلق أساراهم <sup>(127)</sup> . ودوابهم . والقى في روعهم فوائد السلوك في طريق الإنسانية . وكذلك أنعم عليهم مدة أسرههم بالمأكولات والمشروبات . وعند إنصرافهم وعدتهم أحسن عليهم بالمأكولات الكثيرة ، فطابت نفوسهم وطارت فرحاً . كما أنعم بالخلع على خمسة من مشائخهم . ولما إتصل أن عدداً من العبيد من سكان الجبال في جهة كردفان قد وقعوا في الأسر - كما هي عادتهم القديمة - صدر الأمر بأن يسكنوا في سواحل البحر الأبيض <sup>(128)</sup> . إن كان هذا في الإمكان . وأن يعرضوا شكواهم إلى الحكمدار كلما تنازعوا فيما بينهم ، وأن يتولى حاكم البلدة الفصل في الدعوى وفقاً للقوانين

124- المقصود أحمد باشا أودان.

125- المقصود جبل طيقو الحالي الواقع جنوب شرق جبال الأنقسنا بالقرب من باو عاصمة جبال الأنقسنا.

126- المقصود جبل رقيق الحالي أحد سلسلة جبال فازوغي . ورقريق قبيلة تسكن تلك المنطقة .

127- يقصد أسراهم.

128- يقصد النيل الأبيض . هذا وقد أخطأ شكري بأن ذكر في ترجمته أن الأمر قد صدر بإنشاء مستعمرة من أولئك الأسرى ((على شاطئ النيل الأزرق)). رحلة محمد علي ، ص 52.

الشرعية والحكومية . ويعلم أن هذا فرضاً عليه . وإلا يخلي سبيل جميع المدنيين  
والبدويين والجبليين بصفاء البال والأنس .

وجاءت في مكاتبات الحكمدار المشار إليه <sup>(129)</sup> . الواردة فيما تقدم أنه وردت إليه  
هدية من سلطان الحبش . فكتب كتاباً إلى السلطان المذكور، أرسله مع أحد الأمناء <sup>(130)</sup> .  
وأعد (بصحته) <sup>(131)</sup> . هدية نفيسة تليق بشرف مصر . وكان وصول هذا الخبر  
مصادفاً لوقت إعتزام الجناب العالي السياحة . فأمر سموه أعداد هدايا نفيسة  
وإحضارها حتى إذا ما وصل الموكب السعيد إلى الجهات العليا أرسلت إلى الحبش  
بصحبة سعادة المعاون رسم بك من أقدم الموظفين المصريين الموجود في ركاب الخديوي  
 . فلما روى هذا إلى المشائخ الذين تشرفوا بشرف لثم العتبات الكريمة في الخرطوم آمنوا  
وصدقوا . ولكنهم تلعثموا في الجواب، وأخذوا يتبادلون النظرات مبتسمين . وعندئذ قال  
الضابط فيسان <sup>(132)</sup> ، من أوائل الضباط الذين التحقوا بخدمة مصر والمشغول الآن في  
جهة الخرطوم بالتجارة: ((مولاي إن الأحباش قوم كالحمير ، وهم لذلك إذا عوملوا على  
هذا الوجه يخشى أن تقع حادثة مثل حادثة دارفور، لأنهم محرومون من الإعتبارات  
والمدنية)) . وكان قوله هذا مما جعل مولانا يصرف النظر في الوقت الحاضر عن إرسال  
الهدية إلى الحبشة إلى أن يعود الأشخاص الذين كان أوفدهم حضرة الباشا المشار إليه  
بهديته ، وإلى أن يزول ما كان عالقاً بين الطرفين من الكدر ، ويتجلى أطوار وحركات  
السلطان المذكورة الأخيرة . وبما أن الأنباء قد وردت بأن البعثة المرسلة بالهدية قد  
وصلت إلى بلدة القلابات ، التي هي المركز التجاري للتجارة الحبشية - السودانية  
والداخلة إلى حدود حكومة مولانا الخديوي ملجأ العدل، وأنها ستعود قريباً لى جهة  
قرنقور <sup>(133)</sup> ، أدلى مولانا ولي النعم بتعليماته وتنبهاته المفصلة إلى حضرة الحكمدار  
المذكور . وتتلخص في أنه متى ما عادت البعثة أن يسلم الهدية الخديوية المجهزة إلى

129- يقصد الحكمدار أحمد باشا أبوودان .

130- ذكر شكري أن أبودان أرسل إلى الحبشة ((وفدأً فيه عدد من الرسل)) رحلة محمد علي ، ص 53. إلا أن  
الترجمة الرسمية للتقرير تشير هنا أن أبا ودان أرسل شخصاً واحداً فقط .

131- هذه الكلمة غير واضحة في الأصل . ولكن من السياق يبدو أنها تعني ((بصحته)).

132- بدلاً من «الضابط فسيان» زعم شكري أن المتحدث كان « الشيخ فيصل» الذي «عاد حديثاً إلى الخرطوم  
وأخذها مكاناً لإقامته» . المصدر السابق، ص 52.

133- لعل المقصود هنا ذكر الواقعة بالقرب من القلابات.

أحد الضباط ويرسلها للسلطان . وأن يعمل على أخذ التعهدات الكفيلة بتأمين الطرق التجارية حتى يضمن للتجار السير ذهاباً وإياباً الطمأنينة الكاملة والسلامة التامة من كل الوجوه . وأن يخص الأهالي المقيمين في أقسام دنقله وبربر على زراعة النيلة كيفما شاءوا. ويشجعهم على المتاجرة فيها بالبيع والشراء. وأن يعطيهم ما يطلبونه من الآلات اللازمة المتخلفة في فابريقات النيلة التي كانت تستعمل لخدمة الحكومة ثم تركت في الوقت الحاضر. وأن يشمر عن ساعد الجد والإهتمام ، وأن يسعى سعياً حثيثاً في كل ما يعود على البلاد بال عمران بأي حال كان <sup>(134)</sup>.

وكان أن أوفد ثلاثة من المهندسين <sup>(135)</sup> ليسيروا حتى خور الذهب الواقع في مواجهة قزنقورة <sup>(136)</sup>. ثم يعودوا بعد أن يشاهدوا أثر التبر ويعرضوا ما يشاهدونه فقام هؤلاء المهندسون بما إنتدبوا له، وجابوا المنطقة حتى دخلوا إلى ساحل النيل عند نقطة النهاية وعادوا. وأخبروا أنهم رأوا التبر وعيابه كعيار التبر الذي شوهد في الجهات العليا. وعندئذ تحرك الركاب الميمون من قزنقورة في اليوم الثامن من الإقامة . أي في يوم 17 ذوالقعدة <sup>(137)</sup> - وصل إلى الجهة المذكورة بعد مسيرة خمس ساعات من أقرب الطرق . فنصبت لهم الخيام ، وأمر ، وأمر حفظه الله - تأييداً للأوامر الجليلة الصادرة للحكمدار المذكور - أن يطلق إسم محمد علي على المكان المذكور ليزداد عمراناً وليذكر على ألسنة الناس دوماً. ولأجل أن يصبح جديراً بحمل هذا الإسم الكريم ويكون أكبر وأعظم بلاد السودان <sup>(138)</sup> ، أمر بإنشاء الحدائق والبساتين ، وأحاطته الجميع بسور ، وإسكان من يرغب في سكنها والإقامة فيها . وكان لهذا اللطف والكرم تأثير عجيب على مشائخ السود المحيطين بالأمر ، فأحنوا رؤسهم أكباراً . وعرضوا على مسامح الحضرة العلية أنهم سيجمعون من الأطراف والأكتاف أربع

134- لم يذكر شكري في ترجمته كل هذه الأوامر المفصلة المتعلقة بالعلاقات السودانية - الحبشية والزراعة التي أمر محمد علي الحكمدار أبوادان بالعمل على تنفيذها . أنظر: رحلة محمد علي ، ص 53.

135- هم المهندسون الفرنسيون دارنو ولامبرت وليفيير ، الذين سبقت الإشارة إليهم. أنظر :هامش رقم 46 ص 35 .

136- المقصود جبل كشنكرو الحالي . وتسكن هناك قبيلة «الكشارة» المسماة على هذا الجبل.

137- الموافق 1 فبراير سنة 1839.

138- ذكر شكري في ترجمته أن محمد علي أراد لمدينة محمد علي أن «تصبح عاصمة السودان» . رحلة محمد علي ، ص 53. إلا أن ذلك لم يرد مطلقاً في التقرير الرسمي ولا في أي مرجع آخر. هذا وقد ذكر هيل أن مدينة محمد علي قد أنشئت في المكان الذي يلتقي فيه النيل الأزرق مع خور عدي . وأضاف أن الباشا قد أخبر فيما بعد قناصل الدول الأوروبية أنه سيلتجى لهذه المدينة إذا ما أجبره أعداؤه على مغادرة مصر. Hill: op cit., p. 68.

وعشرين ألف بيت <sup>(139)</sup> بالطوع والرضا لإستخدامهم في خدمة المعدن . والتمسوا أن يصرف لكل عامل تسعة أرباع من الذرة شهرياً لأن الذهب والفضة عندهم كالتراب الأسود سواء بسواء . ولكن ولما كانت المصلحة المذكورة مصلحة لها أهميتها وخطرها وتعد من الأمور الجسيمة - كما يشهد بذلك من له دراية بها - فقد رؤي أن الواجب يقضي بتشغيل المعدن بالآلات الميكانيكية وفقاً لتقارير المهندسين ، وما أدلوا به من التعريف . وأستقر الأمر بأن يكتفي في الوقت الحاضر بأحضر 1500 بيت من جبل فيزوغلي وإسكانهم في مدينة محمد علي . وأن يوعدوا بمكافأتهم بصرف كسوة لكل منهم سنوياً علاوة على المقدار المقرر من الذرة على أن يدرج التقرير الذي وضعه مهندسو المعدن في جريدة الوقائع في المستقبل في الأيام <sup>(140)</sup> .

وصحاري الممالك السودانية وجبالها مشحونة بالوحوش العجيبة والطيور الغريبة والأشجار الكثيرة في كل مكان منها . ولا تخلو جهة من الأشجار ذات الثمر مما تنبتها الطبيعة مثل العنب <sup>(141)</sup> والتين <sup>(142)</sup> . وقد عشعشت بين أغصانها أنواع عديدة من الطيور المغردة حتى إذا ما شرعت في التغريد بعثت النشاط والحبور في قلوب الغادين والرائحين فضلاً عن تلك الخضرة التي كست الصحاري والقفار وكل نوع منها يجلو مرآة البصر والأرض ذات قابلية عظيمة للزراعة . وتنتج الأرض محصولاً وافراً فتعطى الحبة الواحدة خمسين أو ستين حبة مما يدل على قوتها . والقوم يستعملون في دنقلة وما جاورها آلات خفيفة مثل المساحي <sup>(143)</sup> والفؤوس . ولكن هذه الآلات يستغنى عنها في الجهات العليا فيعمدون إلى الأرض في موسم الزرع فيخرجونها بقطعة مدببة من الحطب <sup>(144)</sup> ويلقون حبة الذرة أو بذرة القطن فتؤتي ثمرها بعد حين . ويرى أرباب الزراعة بعين الحيرة أن شجيرات القطن التي تزيد في الطول عن قامة الإنسان

139- يقصد أسرة.

140- الملاحظ أن التقرير لم يتضمن نتائج الأبحاث التي قام بها المهندسون آنذاك للتنقيب عن الذهب. غير أنه أشار إلى أن مهندسي المعدن وضعوا تقريراً حول هذا الأمر سينشر «في جريدة الوقائع في المستقبل من الأيام» . ولا أدري أن نشر هذا التقرير أم لا إذ أنني لم أجد في دار الكتب بالقاهرة كل مجلدات مجلة الوقائع الخاصة بالفترة ما بين 1839-1834/1255-1250.

141- أنظر هامش رقم 99، ص42.

142- أنظر هامش رقم 100 ، ص 42 .

143- يبدو أن «المساحي» هي آلات أستخدمت لمسح الأرض.

144- يقصد السلوكه . وفيها الآن نوعان : أم خابور والجرابية.

هناك يزيد محصولها عن القطن الناتج من القطن المنزوع في مصر بالآلات المختلفة والنفقات الباهظة <sup>(145)</sup>. ومن المجزوم به أن كل ما يزرع هناك ينتج ، كما أن أصحاب الزراعة، ينالون المحصول بدون كلفة أو عناء كثيرون مستغرقون في غياهب الجهل والكسل، لأنهم لم يوفقوا إلى سيد رحيم يوجه إليهم أنظارهم ويشملهم برعايته منذ أن خلقهم الله إلى العصر الحاضر . فبقوا على الفطرة كما يشهد بذلك الواقفون على أحوال الناس . ولكن الله قيض لأولئك الهائمين في وادي الحرمان مولانا ولي النعم العادل الرحيم ، فجاءهم كالخضر من لدن الرب المجيد . وكان لمقدمه السعيد فيضاً وبركة، ونفخ روح الحياة في سكان البلاد الذين كانوا كالأموات فعادوا إلى الحياة أنظر وأقوى مما كانوا . وأقر بذلك العلماء والمشائخ ، ولمس ذلك كل فرد من أفراد الشعب . ولما مسحوا وجوههم في تراب أقدام الحضرة الكريمة كان لسان حالهم يقول : ((أي قميص لا يصلح للعريان؟)). ولما وضعوا على هاماتهم الخلع الفاخرة كل بحسب درجته ومقامه ، وجه الخديو الجناب العالي كلامه إلى المشائخ قائلاً لهم : ((لا يخفى على ذوي العقول أن سكان أقسام المعمورة كانوا مثلكم في العصور التي خلت محرومون من الرفاهية. ولكن سكان كل قطعة نالوا الشرف الإنساني وحظوا بالرفاهية والنعم فحباهم الله بالطاقة الصمدانية . كل هذا نالوه عن طريق دليل إتخذوه لهم . فهأنذا دليلكم فسيروا على بركة الله، وأقبلوا نصائحي وتمسكوا بالأسباب التي سأشرحها لكم . وإني أمل من فضل الله الخلاص لكم من أحوالكم الموجبة للملال . وأن بلادكم واسعة مترامية الأطراف وأرضكم خصبة، ولديكم الناس والدواب والأخشاب بدون حساب . وهذه الدنيا مقسمة إلى خمس قارات، وليس فيها إلا قارة أفريقيا سكانها هي الذين حرموا من لذة المأكولات والمشروبات، ومن فوائد التجارة وأرباحها. بينما مصر التي تبلغ مساحتها حوالي 360 ميلاً وعرضها 240 ميلاً تقريباً نالت الثروة والعزة من وراء كثرة الزراعة كما لا يخفى . وإذا صرفنا النظر عن مشارق السودان ومغاربها وأكتفينا بجزيرة سنار لرأينا أنها من جهة السعة والفسحة أكبر من مساحة مصر عشر أضعاف . والمشهور أن الإنسان إذا تواني ولم يسع لن ينال المقصود . ثم أستطرد من هذه المقدمات إلى شرح فضائل الزراعة وتفضيل شئون التجارة . وبعد أن أنتهى

145- بدأت قبل عدد من السنين زراعة القطن في مشروع التكامل جنوبي الرصيصر وفي مزرعة الدولة في أفدي. وينتج الفدان في كل منها حوالي ستة قناطير.

الجناب العالي من حديثه هموا بالإجابة وقالوا: ((يا محسن من لطفك أحسنت إلينا تالله لقد آثرك الله علينا نحن في الحقيقة أجهل من في الأرض وأحط من في درجات الطول والعرض<sup>(146)</sup>). وأخذوا يعرضون رغبتهم في مشاهدة المحروسة ، فقال لهم ولي النعم : ((تعالوا ولكن المشاهدة والتقدير مع العلم بالقراءة والكتابة شيء ، وبدونهما شيء آخر. فأن كنتم توفدون أبناءكم فأني ألحقهم بالمدارس الكثيرة التي وفقني الله سبحانه وتعالى في إنشائها لتعليم أبناء الأمة وتثقيفهم، وأدفع لهم نفقات مآكلهم وملبسهم . وبذلك ينعم أبناؤكم بنصيب وافر من العلم والأدب في هذه المدارس . ثم أعيدهم بعد سنوات قليلة إلى أوطانهم معززين مكرمين . وأكون بهذا العمل قد خدمت عائلاتكم خدمة عظيمة من جهة ، وخلدت أسمى مقروناً بالفخار إلى يوم القيامة . من جهة أخرى<sup>(147)</sup>)). فكان لهذا الخطاب السامي أثراً عظيماً في نفوسهم المكروبة مما جعلهم يذرفون دموع الفرح من تأثرهم بهذه المجاملات . وسارعوا إلى الوعد بإرسال أبنائهم . وأنبرى عبدالقادر أغا شيخ الجزيرة<sup>(148)</sup> وأظهر إخلاصه وعبوديته بقوله ((ليس لي أبناء، ومع ذلك سأرسل ابن أخي))!

وكانت أساسات المباني اللازمة لأشغال المعدن قد وضعت وترك عشرون مهندساً كما أشرنا إلى ذلك فيما سلف ذكره . وكان هؤلاء المهندسون يتقاضون مرتبات كبيرة، ولكن شاءت رغبة الجناب العالي أن يزيدهم ثروة وغنى . فأنعم على كل مهندس منهم مائة فدان أبعادية من الأراضي الخالية ، على أن يتولوا تدريب الشعب على أصول الزراعة والفلاحة . وأمر حفظه الله بأن يعطوا كل ما يطلبونه بطريق السلفة.

146- لم يرد رد المشائخ هذا على خطاب الباشا فيهم في ترجمة شكري. أنظر: رحلة محمد علي ، ص 55.

147- نحن نعلم أن محمد علي لم يفتح مدرسة نظامية واحدة في السودان. إلا أن التقرير يشير هنا أنه قد عرض خلال زيارته للسودان على مشايخ البلاد إرسال أبنائهم ليتعلموا في مصر مجاناً، وأنهم قد وافقوا على ذلك. وقد وصل إلى القاهرة عقب عودة محمد علي إليها من السودان ستة «من أبناء وجهاء» السودان. وقد أمر محمد علي بإلحاقهم بالمدرسة التجهيزية ليتعلموا القراءة والكتابة أولاً، ثم يدرسوا بعد ذلك علم الزراعة . هذا وقد وجه الباشا «بلزوم العناية بهم وتمييزهم على غيرهم من تلاميذ المدرسة الآخرين وأن يخصص لهم خادم يقوم بما يلزم لهم . ولو أن لكل عشرة من تلاميذ المدرسة خادم. وألا يفرق بينهم بل يكونوا معاً».

عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، تاريخ التربية في السودان ، ج2 (القاهرة 1949) ، ص 16 نقلًا عن رسالة من ديوان المعاونة إلى مدير المدارس ، دفتر رقم 306 صادر ديوان المعاونة جهادية ، وثيقة رقم 912 بتاريخ 9 جمادى الآخر 1255.

148- يقصد عبدالقادر ود الزين شيخ مشائخ الجزيرة ، ومن أهم المشائخ السودانيين الذين تعاونوا مع حكومة محمد علي . فقد رقاها محو بك وكساه كسوة فاخرة بينما قلده الحكمدار خورشيد المشيخة على البلاد من حجر العسل إلى جبال الفونج: جغرافية وتاريخ السودان ، ص 515-17.

وأن يتدرب المهندس شخصياً بقدر الإمكان على الزراعة وأصول الفلاحة . وأمر بأن يأخذ نفرين من كل شيخ وإلحاقهما بمعية مهندس توطئة لتعلم الزراعة الفنية وحثق أصولها أولاً ، ثم قيامهم بعد ذلك بزراعة الأرض وحصدها على حسابهم الخاص . وأمر الباشا أيضاً بتشجيع الشعب على تذوق منافع الزراعة وحثق أصولها حتى يقبلوا على زراعة النيلة والقطن وقصب السكر. وألا يؤخذ مال من أي فرد كان في خلال السنوات التي ستحدد بحسب ما يقرر في مصر ويبلغ إليهم . وأن يكتفى بعد إنقضاء السنوات التي سنقرر يأخذ العشر فقط . وأن يبذلك جهده في تطيب قلوب الزراع وحميتهم على وجه أتم . ثم قال الباشا: ((يا بني<sup>(149)</sup> أرني همتك وإن ظهرت لي أنك قادر على تنفيذ وصاياي المبسوطة بأذن الله فلا شك أن عائلتك ستكون في المرتبة الأولى بين العائلات المصرية . وأن في نيتي أن أحضر في العام القادم - إن لم يطرأ مانع - لزيارة هذه البلاد ، لشد أزرک ومعاونتك في تشجيع الرعية وحضهم)). وكان لإظهار الجناب العالي ما في ضميره وقع جميل لدى الباشا الذي شمله ولي النعم بهذه التعطفات المتوالية التي ضاعفت قدره ، وأعلت منزلته وإعباراه.

ولما كانت الشلالات مانعة لسوق الفنجات إلى ما يلي مدينة محمد علي، فأن الجناب العالي وصل إلى فيزوغلي في الثامنة عشر من ذي القعدة<sup>(150)</sup>. وأمر بأرسال العطايا والدواب إلى بربر . وفي الصباح أجريت مراسيم الوداع ، فأصطف العلماء والمشائخ وغيرهم من العظماء الذين شملهم ولي النعم بعواطفه السامية وإحترامه ومرحمته خلال مدة إقامته . ووقفوا في الطريق الذي سيسلكه سموه وكان لسان حالهم يقول:

وخيالك لا تغيب عن فؤادي

لو كان بيننا ألف وادي

وكان تأثرهم بادياً على محياهم من كثرة شوقهم وفرط تعلقهم . وكان يدل على أنهم ميالون إلى قبول الرعية مع أولادهم وعيالهم . ثم عاد جنابه العالي على الفنجات، ولكن لقلّة الماء وكثرة الأحجار الصغيرة فأن الفنجات الصغيرة كانت تمر

149- يخاطب الباشا هنا الحكمدار أحمد باشا أبو ودان.

150- الموافق 2 فبراير سنة 1839.

وكانها محمولة على الأيدي إلى أن وصل الموكب إلى الخرطوم في 27 ذي القعدة (151) ، وأقام فيها ثلاثة أيام. وكان عند مروره لمشاهدة الزرع وأعمال الحرث كان يوجه الخطاب إلى المشائخ - كما أسلفنا - مشجعاً إياهم . وأثر هذا التشجيع فشاهد ميل الأهالي إلى الزراعة والفلاحة. ومن ذلك الضابط فسيان السابق ذكره قال عندما كان المشائخ مائلين في الحضرة الخديوية: وسأقوم أنا أيضاً بإنشاء عشرة من السواقي)). فعرض الآن على المسامع الخديوية أنه جهز أماكنها وأنشأ اثنين منها<sup>(152)</sup>. ودار الحديث حول الذهبيات التي ستقصد إلى البحر الأبيض، فأمر ولي النعم بتعيين سليمان كاشف باشيوغاً (153). لإقامته ثمة منذ أربعة عشر سنة وله إطلاع ومعرفة نوعاً ما بجهات البحر الأبيض ، وأن يصحبه في سفره إبراهيم الفرنسي من التجار. وخصص له مرتباً شهرياً قدره ألف قرش ، كما أمر أن يصرف للجميع مؤنة سنة . ولما كان سكان البحر الأبيض سواسية بطائفة العبيد في إستعمال الدركة والطرايوس<sup>(154)</sup> . بدلاً عن السنان والسيف ، وهم (يتقون)<sup>(155)</sup> . الجدل بها ، ولكنهم لم تصل أسماعهم أصوات المدافع والبنادق ويجهلون خبرهما . ولذلك سمح الجناب العالي بضم ذهبيتين على الذهبيات المخصصة ، وإركاب 500 جندي فيها بعد موسم الفيضان للمعاونة في إكتشاف المنطقة إكتشافاً جيداً . والإستعانة بهم في تقوية أسباب المحافظة ، إذ لا يبعد أن يعترض طريقهم بعض الأشرار . وشرح للبعثة مأمورياتها وأن تسير في هذه الأيام على أن يكون بدء السير إلى أقصى ما يمكن السير عليه عقب هطول الأمطار<sup>(156)</sup> .

وبلدة الخرطوم - كما أسلفنا - أصبحت مركزاً تجارياً في قليل من الوقت. وقد

151- الموافق 11 فبراير سنة 1839.

152- نلاحظ أن ترجمة شكري للتقرير مبتورة بصفة خاصة عند تعرضها لذلك الجزء من التقرير الذي يتحدث عن رحلة العودة من فازوغي إلى القاهرة . فهو لم يشمل مثلاً هذا الجزء من حديث الباشا مع المشائخ خلال الثلاثة أيام التي قضاها في الخرطوم في طريق عوته.

153- الباشيوغ رتبة عسكرية. وقد عهد محمد علي إلى سليمان كاشف مهمة الإشراف على القوات العسكرية التي صاحبت البعثة التي أرسلت للكشف عن منابع النيل الأبيض . نسيم مقار : البكباشي المصري سليم قبطان والكشف عن منابع النيل الأبيض ، ص 34.

154- المقصود «الطرباش» أو السفروق . وهو سلاح يقذفه صاحبه عند الصيد أو الدفاع عن النفس.

155- لم أستطع قراءة هذه الكلمة ولكن من السياق يبدو أنها «يتقون».

156- لم تتضمن ترجمة شكري هذا الجزء الذي يتحدث فيه التقرير عن البعثة المكلفة بالكشف عن منابع النيل وعن المقاومة التي توقع محمد علي أن تواجهها من الأهالي. هذا وقد كلف محمد علي أخيراً البكباشي المصري سليم قبودان للكشف عن منابع النيل الأبيض . وقد بدأت أولى رحلاته الثلاث في 16 نوفمبر 1839 . المصدر السابق ، ص 34.

تجمع فيها كثير من ملك الأفرنج والروم والقبط . فتقدموا إلى الأعتاب ملتمسين التصريح لهم بإنشاء كنيسة لهم ، ولكن رؤي أن إجتماعهم في كنيسة واحدة أمر بعيد الحصول لتفرق مللهم . ولكنهم قالوا أنهم سيتعدون ويجرون طقوسهم في معبد واحد وهم على أتم ما يكونوا صفاء ومودة . فأعطى لهم ؟ (157) بقصد إعمار المملكة(158). ولما كان السياح و تجار العتмор يكونوا دائماً ودوابهم معرضين للتعبد دائماً في مكان واحد، فإنه لا جدال في أنه إذا وضع لهم نظام - كما حصل في أمر الزراعة - قاموا بتوريد محصولاتهم إلى مصر . ولذلك قال مولانا ولي النعم للمسيو لامبر<sup>(159)</sup> أن نيته العالية متجه إلى إنشاء سكة حديدية في الطريق المذكور ، وأنه معتزم تنفيذ هذه الفكرة في القريب العاجل<sup>(160)</sup>. وأوفد جنبابه المسيو لامبر إلى كردفان ليقرر إن كان من الممكن شق ترعة من النيل إلى كردفان توطئة لتشغيل وإدارة معدن الحديد على الوجه المطلوب<sup>(161)</sup>.

ولما كان من دأب جنبابه العالي حفظه الله في كل الأوقات أن يشمل بعين رعايته من في ركابه من المحاسيب ورجال الحاشية صغاراً وكباراً ، فإنه شمل في هذا السفر الطويل من تشرفوا بالخدمة في ركابه السعيد بعنايته . وأغرقهم في بحار توجيهاته وتعطفاته . وكان دائم العطف عليهم في كل مكان نزلوا به . وكان يأمر أعزه الله بأن يأتوا بالتتابع إلى مجلسه الشريف ليتشرفوا بمجالسته السنية ليحظوا بالشرف والإفتخار وليعلى قدرهم . وكان من عاداته العلية أن يفكر دائماً في تزييد ثروة كل المتشبهين بأذيال أبهته ليزدادوا قوة وثروة . وكان لا ينفك عن ذكر محاسن الدولة المصرية ومناقبها فيقول: إن في زيادة إيراد مصر رفعتي وعلو شأني ، وفي إزدهار مصر قوتي وثروتي . وهذا غني عن التعريف . إلا أن أراضي السودان أخصب وأوفر محصولاً وأكثر سكاناً ودواباً وأشجاراً . فأن كانت هذه الجهود تبذل في عمرانها على الوجه الذي أومله فلاشك أن قارة إفريقيا بعد مائة سنة تضارع أمريكا<sup>(162)</sup> ، بل تكون ثانيها

157- لم أستطع قراءة هذه الكلمة . ولعلها تعني أذنأ أو قطعة أرض.

158- أنظر ص 17.

159- يقصد المهندس الفرنسي لامبرت Lambert الذي صحب الباشا في رحلته.

160- هذا يعني أن محمد علي قد فكر في إنشاء خط سكة حديد عبر صحراء العتмор من أبي حمد إلى حلفا . غير أن هذا كان مجرد حلم إذ لم تتوفر لحكومة الباشا آنذاك المال والخبرة الفنية لتنفيذ هذا المشروع.

161- وهذا حلم آخر كان من المستحيل على الباشا تنفيذه.

162- المقصود أمريكا.

. وأستطرد من هذا الكلام إلى القول بأنه على الرغم من وصوله الحادية والسبعين في عمره ، فإنه يرتاد هذه الأقاليم في سفره في غاية من الصحة وسلامة الجسم كأنه شاب في الخامسة والعشرين . وكانت كلماته التي هي من هذا القبيل تولد السرور والممنونية في قلوب عبيده الشاكرين لإحسانه<sup>(163)</sup> .

وفي غرة ذي الحجة<sup>(164)</sup> تحرك ركابه السامي من الخرطوم<sup>(165)</sup> ، وقرر المرور من الشلالات على الرغم من أن الموسم هو موسم إنخفاض ماء النيل ، وإنتظار ورود المواشي في أبي حمد . وبينما كان الركب السعيد يمر من الشلالات ، سمعت إستغاثة من فنجة القنصل المذكور<sup>(166)</sup> صوتاً يردد : ((فنجتنا غرقت)). وكنا وقتئذ نستخرج الماء من فنجتنا بواسطة خمس جرادل . وبينما كنا سائرين في طريقنا أخذ جنابه العالي يلاطفنا سائلاً: كم من الجرادل تشتغلون؟ وبعد أن سرنا مدة رست الفنجات على الشاطئ وسحبت . ثم شرع في ترميمها بقدر المستطاع . وفي العاشر من ذي الحجة<sup>(167)</sup> . أمكن الوصول إلى أبي حمد ، فأقيم بها أربعة أيام في إنتظار الماشية . وأراد مولانا السفر من عتمور بربر الأشد من عقبة دنقلة والذي يمتد مسيرة 92 ساعة . وتمكنت ثلاث رؤوس من الخيل المخصص لركوب جنابه العالي من الوصول ، ولكنها وصلت في حالة أعياء . ولما عرض عليه ذلك قال سموه: أنني بلطف الله تعالى في كامل صحي وعافيتي ، ولا فرق عندي بين الخيل وغيرها من ذوات الأربع ، وكنت معتاداً على كثرة ركوب الهجن منذ القديم . وأزاء هذه الرغبة الكريمة ، تحرك الموكب العالي من

---

163- لم ترد كل هذه الفقرة من «ولما كان دأب جنابه العالي» وحتى «الشاكرين لإحسانه» في ترجمة شكري للتقرير 164- ( الموافق 15 فبراير 1839 . زعم شكري أن ركب محمد علي غادر الخرطوم في «آخر ذي القعدة» 1254 الموافق 14 فبراير 1839 .

165- ذكر الرحالة بالمر أن المسؤولين قد إتفقوا مع زعماء قبيلة الكبابيش لترحيل صمغ الحكومة من كردفان إلى دنقلا مقابل أجر معلوم على الجمل الواحد . إلا أنهم نقضوا هذا الإتفاق بدفع ربع المبلغ المتفق عليه فقط . وحتى ذلك لم يدفع لهم نقداً إذ أنهم أجبروا على أخذ بعض المنسوجات القطنية المصنوعة في دنقلا بدلاً من النقد . وأستطرد بالمر زاعماً أن محمد علي قد عمل خلال رحلته إلى السودان على إزالة هذا الظلم بأن إستدعى الشيخ صالح شيخ الكبابيش لمقابلته في الخرطوم . وقد حاول في هذه المقابلة إستماتته بكل الطرق، بل وأنه وعده بأن يزيد فوراً الأجر الذي دفع للكبابيش مقابل حمل كل جمل من خمسة وأربعين لى ثمانين قرشاً. غير أن هذا التقرير لم يشر مطلقاً إلى هذه المقابلة المزعومة . Pallme, I: Travels in Kordofan (London 1844). P.138 .

166- المقصود قنصل اليونان في مصر - توسيجية - الذي رافق محمد علي في رحلته للسودان.

167- الموافق 24 فبراير 1839 .

المحل المار ذكره قبل العصر من اليوم الرابع عشر من ذي الحجة<sup>(168)</sup>. وأخذ يقطع الفيافي الرملية اللانهائية لها وكأنه الأسد حتى نزل في وقت الفجر في اليوم العشرين من الشهر المذكور<sup>(169)</sup>. في كرسكو . ثم أستغل الفنجات ، ومر من شلال أصوان<sup>(170)</sup>. وكان سموه يسأل عن حالة المديرية أثناء مروره حتى وصل إلى مصر المحروسة بعد أن صرف خمسة أشهر وأربعة أيام في السياحة<sup>(171)</sup>. وكان لوصول ولي النعم رنة فرح وابتهاج لدى محاسبيه المخلصين شعبه الوفي الأمين الذي كان مترقباً تشريفه .  
وإننا لندعو الله الذي قدر منازل الشمس والقمر وتنزهت ذاته عن المكان والمقر أن يقدر الذات الخديوية العالية في مسند العز والإجلال وأن يثبت ظله الظليل على مقارن عباده أمين ثم أمين<sup>(172)</sup>.

---

168- الموافق 28 فبراير 1839.

169- الموافق 6 مارس 1839.

170- المقصود أسوان.

171- وكذلك لم ترد في ترجمة شكري كل الجزء من بداية هذه الفقرة وفي ((غرة ذي الحجة)) وحتى هنا. والتي وصف فيها التقرير رحلة الباشا من الخرطوم إلى القاهرة

172- ولم يرد أيضاً في ترجمة شكري هذا الدعاء في خاتمة التقرير.

## مراجع مختارة

### الوثائق

- مركز أبحاث تاريخ مصر المعاصر ، علبة السودان ، التقرير الرسمي عن رحلة ساكن الجنان مولانا الكبير محمد علي إلى السودان، مترجمة من وثيقة تركية محفوظة في ملف المتفرقات (دوسيه بدون تاريخ من المحفظة نمرة 123 - عابدين، رجب - شوال 1254).

### الرحلة الميدانية

للتحقق من المعلومات التي وردت في التقرير الرسمي الذي صدر عن رحلة محمد علي قمت خلال شهر أبريل 1980 برحلة ميدانية من الخرطوم متتبعاً بقدر الإمكان الطرق التي سلكها ركب الباشا حتى فازوغلي وخور الذهب .  
فقد سافرت براً من الخرطوم ماراً بمدي وسنار وسنجة حتى مدينة الدمازين . ومن الدمازين سافرت في رحلة طويلة إستغرقت عشرة ساعات إلى أن وصلت مدينة قيسان على الحدود الحبشية السودانية . وعند عودتي إلى الدمازين سافرت إلى الروصيرص . ومنها سرت محاذياً للضفة الشرقية للنيل الأزرق إلى أن وصلت إلى فامكة (مدينة محمد علي سابقاً) وجبال فازوغلي . وقد إستغرقت هذه الرحلة حوالي سبع ساعات .  
وقد توقفت طوال هذه الرحلة في كل المدن والقرى التي مررت عليها وتحديث إلى عدد كبير من أهالي تلك المناطق . وبالطبع لا يمكنني أن أذكر أسماءهم كلها . ولكنني أكتفي بالشيخ محمد عوض يوسف - البالغ من العمر آنذاك ستين عاماً والمقيم حينئذ بمدينة قيسان الذي أفادني فائدة كبيرة.

### رسالة غير منشورة

سعاد عبدالعزيز أحمد : التعليم غير الحكومي في شمال السودان (1898-1956)  
(رسالة ماجستير ، الخرطوم 1979)

## مراجع باللغة العربية

1. أنجلو سا ماركو ، تعريب طه فوزي : رحلة محمد علي إلى السودان (القاهرة 1941)
2. حسن أحمد إبراهيم : محمد علي في السودان (الخرطوم 1972)
3. مكي شببكة : السودان عبر القرون (القاهرة 1964)
4. السودان في قرن (الطبعة الثانية ، القاهرة 1957)
5. السودان والثورة المهديية ، ج2 (الخرطوم 1979)
6. محمد فؤاد شكري، وعبدالمقصود العناني، وسيد محمد خليل بناء دولة محمد علي (القاهرة 1948) .
7. محمد فؤاد شكري : مصر والسودان، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر 1820-1899 (القاهرة 1946) . ((صفحة من تاريخ السودان الحديث ، رحلة محمد علي باشا إلى فازوغلي 1838-1839 ونشر جورنال الرحلة )) ، كلية الآداب ، العدد الثامن ، المجلد الثاني ، 1946 ، ص 2758
8. نسيم مقار : البكباشي المصري سليم قبطان والكشف عن منابع النيل الأبيض (القاهرة 1960)
9. نعيم شقير: جغرافية وتاريخ السودان (الطبعة الثانية ، بيروت ، 1972)
10. عبدالعزيز أمين عبدالمجيد: تاريخ التربية في السودان ، ج2 (القاهرة 1949)
11. عون الشريق قاسم : قاموس اللهجة العامية في السودان (الخرطوم 1972)
12. رفاعة رافع الطهطاوي: مناهج الأبواب المصرية في مباحج الآداب العصرية (الطبعة الثانية، القاهرة 1912)

## مراجع باللغة الإنجليزية

1. Dunn, Stanley : “Notes on the Mineral Deposits of the Anglo-Egyptian Sudan”, the Anglo-Egyptian Geological Survey Bulletin, I, 1911.
2. Hill, Richard : Egypt in the Sudan (London 1959)
3. A Biographical Dictionary of the Sudan (2nd , ed. London 1976)
4. Llewellyn, Arthur: Report on a Mining Concession in the Egyptian Sudan (London 1903)
5. Pallme, I : Travels in Kordofan (London 1844)
6. Tuchmann Charles (ed): Notes on the Mineral Wealth of the Sudan from Khartoum to Abyssinia, Extracts from Bergrath Russegger’s Travels in the Sudan (London 1903)



